المخاطر التي تواجه الشباب
وكيفية الوقاية منها

المخاطر التي تواجه الشباب وكيفية الوقاية منها

ف

محمد محمود عبدالله

مدرس علوم القرآن بالأزهر الشريف

الناشر

دار التقوى

للنشر والتوزيع

هـذا الكتـاب

يذكر فيه المؤلف مجموعة من المشاكل التي تواجه شبابنا حيث يبدأ المؤلف أولا بذكر تدهور أحوال الشباب في هذه الأيام وأن اهتماماتهم ليست إلا بالأمور التافهة وما كان شباب الصدر الأول من الإسلام بهذه السطحية وهذه التفاهة.

وأما معظم أعمال الخير وإعمار الأرض وانتشار الدين والفتوحات العظيمة وكثيرًا من الأمور العظام التي نسمع عنها ويذكرها التاريخ قد قام بها شباب.

وأن كثيرًا من الأسماء الكبيرة والأبطال العظام هي لشباب صغار في السن ولكنهم كبار في المقام.

ثم يعرض المؤلف لبعض المشاكل التي تؤثر على تفكير الشباب والتي تُكَوِّن شخصية الشاب مثل:

ظاهرة التدين الخاطئ – اعتناق مذاهب واردة من الخارج – فتنة القوميات والعصبيات الأقلية – الفهم الخاطئ للتجديد والتقريب والجهل بالإسلام وتعاليمه – انتشار الفتن وذيوعها – انتشار البدع والانحرافات باسم الدين – الغزو الثقافي والاستعمار الفكري – الفلسفة العملية أو البراجماتزم والفلسفة السوفسطائية – الوجودية – العلمانية – العقيدة الدينية والفكر الفلسفي – عالم الغيبيات – الفلسفة الماركسية وموقف الإسلام منها. ثم حل هذه المشكلات.

وقد أضاف المؤلف في آخر الكتاب عشر نصائح غالية للشباب ليأخذوا بها إذا أرادوا الحياة السعيدة والنجاح في الدنيا والآخرة.

الناشر

دار التقوى للنشر والتوزيع

8 شارع زكي عبدالعاطي من شارع عمر بن الخطاب

عرب جسر السويس – القاهرة – جمهورية مصر العربية

ت: 22989943

المخاطر التي تواجه الشباب وكيفية الوقاية منها

تأليف:

محمد محمود عبدالله

الناشر:

دار

التقــوى

للنشر والتوزيع

8 شارع زكي عبدالعاطي

(من شارع عمر بن الخطاب)

عرب جسر السويس-القاهرة

ت: 22989943

المدير المسئول/محاسب

عبدالناصر إبراهيم إمام

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر ولا يجوز إعادة طبع أو اقتباس جزء منه بدون إذن كتابي من الناشر.

الطبعة الأولى: 1429هـ - 2008م

رقم الإيداع: 2007/17361

I.S.B.N. 977-5840-60-0

كمبيوتر:

[illegible]01060459098

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الشباب في الإسلام

ما أعظم مكانة الشباب في الإسلام ، والمتابع لأحداث التاريخ الإسلامي يجد أن معظم حركات التغيير في تاريخ الأمة كانت على يد الشباب ، وليس هذا من قبيل المصادفة ، بل هي سنة مطردة ، وحدث متكرر ..

وراجعوا معي التاريخ الإسلامي ..

عندما نزل الوحي على رسول الله ﷺ.. إلى من توجه برسالته؟

من هم الذين حملهم تبعة هذا الدين؟

من هم الذين ائتمنهم على حمل الإسلام؟

من هم الذين اعتمد عليهم في تغيير نظام الحياة في مكة كلية.. بل في تغيير نظام الحياة في الأرض بكاملها، وليس في زمانه بل وإلى يوم القيامة؟

من هم السابقون السابقون؟

من هم أفضل أجيال الأرض، والذين وصفهم رسول الله ﷺ بقوله الذي رواه البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

من هم الذين سيواجهون جبابرة وطغاة مكة، وطواغيت الجزيرة العربية، ثم سيدكون بعد ذلك حصون وقلاع فارس والروم، ويزلزلون عروش كسرى وقيصر؟

من هم الذين سيسبحون ضد التيار في كل هذه البحار المشركة؟

من أيها الشباب؟!

راجعوا التاريخ، واقرءوا السيرة، واطلعوا على هذه النماذج:

- **الزبير بن العوام رضي الله عنه:**

حواري رسول الله ﷺ، وفارس الإسلام، والبطل المغوار، والدعامة الثابتة للدعوة الإسلامية..

كم كان يبلغ من العمر وقت إسلامه؟

إنه كان في الخامسة عشرة من عمره!!

أي أنه لو كان في زماننا لكان في الصف الثالث الإعدادي أو الأول الثانوي على الأكثر..

ونظرة إلى شبابنا في الإعدادية!..

هل طالب الإعدادية الآن يفكر ويحلم ويتمنى ويعمل كما كان الزبير بن العوام رضي الله عنه يفكر ويحلم ويتمنى ويعمل؟

لابد أن هناك خللاً..

ولابد من وقفة للحساب والمراجعة..

لماذا يخلو ذهن طالب الإعدادي أو الثانوي أو حتى الجامعة من كل ما هو مفيد، ولا يبقى في ذهنه إلا بعض الأفلام الساقطة، والأغنيات الهابطة، والألعاب السخيفة؟ لماذا يبقى الشاب ساعات وساعات أمام شاشات التليفزيون والإنترنت والفيديوچيم، ويبقى الساعات والساعات في صالات البلياردو وعلى كورنيش النيل، ولا يصرف من وقته ساعة لدين أو لعلم أو لفكر أو لرحم أو لدعوة أو لغاية نبيلة، أو مهمة جليلة؟

لابد من وقفة!!

- **طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه:**

أحد الدعامات الرئيسية لجماعة الإسلام الناشئة في مكة، وأحد كبار الدعاة إلى الله، وأحد الفرسان المشهود لهم بالكفاءة والمهارة والشجاعة والإقدام، وأحد أعلام الإنفاق في سبيل الله، والذي أطلق عليه رسول الله ﷺ لقب «طلحة الخير».

هذا الصحابي الجليل العظيم كان عند إسلامه في السادسة عشرة من عمره!!

- **سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:**

الصحابي العملاق.. أول من أراق دمًا في الإسلام، والوحيد الذي فداه رسول الله ﷺ بأبيه وأمه، حيث قال له يوم أحد:

«ارْمِ سعد، فداك أبي وأمي»، وذلك فيما رواه الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه..

سعد بن أبي وقاص المجاب الدعوة، والميمون النقيبة، والعظيم الأثر..

كم كان عمره عند إسلامه؟

لقد كان في السابعة عشرة من عمره!!

- **الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي رضي الله عنه:**

الرجل الذي يحمل اسمه ذكريات عظيمة هائلة لكل مسلم، فهو الذي استضاف الدعوة الإسلامية في بيته – على خطورة هذا الأمر – ثلاثة عشر عامًا كاملة في مكة، مع الأخذ في الاعتبار أنه من بني مخزوم، وهي القبيلة التي تتنازع لواء الشرف مع بني هاشم، وهو يستضيف الرسول الهاشمي في بيته، ولاشك أن ذلك سيسبب له حرجًا بالغًا مع زعماء قبيلته وأقاربه، ولا ننسى أن زعيم قبيلة بني مخزوم هو أبوجهل شخصيًا، وهو أعتى عتاة الإجرام والبطش في مكة، وهو فرعون هذه الأمة، ولو أدرك أن واحدًا من قبيلته

يستقبل في بيته الرسول ﷺ وأصحابه، لكانت الطامة الكبرى، والمصيبة العظمى، ومع كل ذلك فقد قبل الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه بهذه المخاطرة، وضحى بنفسه هذه التضحية البالغة من أجل الإسلام..

كم كان يبلغ من العمر هذا البطل العظيم عند إسلامه؟!

لقد كان في السادسة عشرة من عمره!!

ل؟!

نحن عندما نقرأ هذه الأسماء الخالدة.. الزبير وطلحة وسعد والأرقم رضي الله عنهم أجمعين، نعتقد أننا نتعامل مع رجال كبار جدًّا.. والواقع أننا فعلًا نتعامل مع رجال كبار جدًّا، ولكن ليسوا كبارًا في السن، وإنما هم كبار في المقام وفي العقل وفي الجهد وفي الإيمان وفي العمل وفي الأخلاق.. هؤلاء الشباب كانوا رجالًا كبارًا بمعنى الكلمة، وهم في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة أو السابعة عشرة من أعمارهم..

- **علي بن أبي طالب رضي الله عنه:**

وما أدراك من علي بن أبي طالب رضي الله عنه!!

إنه الطفل الذي كان في العاشرة من عمره.. فقط في العاشرة!!

!!

سبحان الله!!

إن هذا يحمل معنى هائلًا لابد أن نقف أمامه.. وهو أن عقل هذا الطفل الصغير غير المكلف يستوعب أمورًا هي من الدقة بحيث قد تخفى على عقول بعض الشيوخ.. لقد استوعب هذا الطفل فكرة الوحدانية، وفكرة النبوة والرسالة، وفكرة الوحي والملائكة، وفكرة البعث يوم القيامة، وفكرة الجنة والنار، وفكرة العمل لله، والحياة في سبيل الله، بل والموت في سبيل الله..

لقد استوعب كل ذلك وهو في العاشرة من عمره!!

وفقه هذا الطفل أيضًا في هذه السن الصغيرة سرية المرحلة، وتعلم كيف يخفي أموره عن أقرب الأقربين إليه، وكيف يتجه سرًّا إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه، وكيف يصلي في خفاء، ويقرأ القرآن بعيدًا عن أعين الناس..

ر..

بعض الآباء والمدرسين والمربين يشفقون على الأولاد من المعلومات المكثفة، أو من الواجبات الثقيلة، فيكتفون بحشو هذا العقل ببعض القصص التافهة وأفلام الكارتون، وألعاب الكمبيوتر، وأسماء اللاعبين والفنانين والفنانات، وهم بذلك يهدرون طاقات لا حصر لها.. ويُقلصون من إمكانيات عقلية هائلة عند الأطفال..

وليس علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثالًا أوحد للطفل النجيب في الإسلام، فالأمثلة فعلًا قد يتعذر سردها لكثرتها، فما من طفل من أطفال الصحابة إلا وله موقف ومواقف تدل على سعة إدراكه، ودقة فهمه، وجلاء بصيرته..

- **زيد بن ثابت رضي الله عنه:**

ترى ما هي أحلام هذا الطفل العظيم الذي يبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا، وكان لم يبلغ الحلم بعد، وكان صغير البدن، قليل البنية؟

لكن – سبحان الله – مع صغر سنه، وصغر بدنه إلا أنه كان مشغولًا بأمته الإسلامية انشغالًا تامًّا.. لقد سمع الطفل زيد أن جيش المسلمين يستعد للخروج إلى بدر للقاء المشركين، فتحركت الحمية لهذا الدين في قلبه الصغير الحجم، الكبير القدر، فحمل سيفه، وكان السيف أطول منه!! وذهب لينضم إلى جيش المسلمين!!

بصدق إلى الجهاد!.. لقد استوعب عقله قضية الجهاد في سبيل الله، ولقاء الأعداء، ونصرة دين الله، وتحمل الآلام والجراح والمشقة في سبيل رفعة هذه الأمة وسيادتها..

ولكن الطفل الصغير الطموح فوجئ مفاجأة قاسية عند ذهابه لمكان تجمع الجيش، فقد استقبله رسول الله ﷺ مع غيره من المجاهدين، فوجد أنه صغير في السن والجسم فخاف عليه الهلكة، فرده ولم يقبله في الجيش..

وكانت هذه مأساة حقيقية لزيد بن ثابت رضي الله عنه!!

لقد عاد إلى أمه «النوار بنت مالك» رضي الله عنها وهو يبكي من شدة الحزن!..

مع الحدث..

لقد كان الالتحاق بجيش المسلمين أمنية ومطمحًا عند زيد بن ثابت وعند أطفال وشباب المسلمين رضي الله عنهم أجمعين.. لأن غاية الجيش كانت واضحة، ومهمته نبيلة، والتعامل فيه بين القائد والجنود على أساس التقوى والإسلام..

أما عندما فُرغت الجيوش من قيمتها، وضُيعت أهدافها، واضمحلت غاياتها، وساءت فيها معاملة القواد لجنودهم، فإن الحال تغير أقصى درجات التغيير، حتى رأينا شباب اليوم – وهو معذور – يقيم الأفراح، ويتلقى التهنئة، إذا أفلح في أخذ الإعفاء من الجيش، ولو عن طريق الكذب أو الوساطة أو الرشوة أو غير ذلك من الأمور غير المشروعة، بل وقد لا يستنكر الشاب أن يذكر أمام القاصي والداني أنه قريب الضابط فلان أو الوزير فلان، وأنه قد توسط له ليُعفى من الجهاد والجندية.. ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

ونعود إلى الطفل العملاق زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقد عاد إلى أمه يبكي ويقول: منعني رسول الله ﷺ من الجهاد..

لكن الأم العاقلة المربية الفاهمة لدينها المدركة لمواهب ابنها، قالت له: لا تحزن، تستطيع أن تخدم الإسلام بصورة أخرى، إن لم يكن بالجهاد بالسيف، فليكن بالجهاد باللسان والقلم!!

لقد لفتت الأم الداعية «النور بنت مالك» رضي الله عنها نظر ابنها – كما لفتت أنظارنا – إلى أن مجالات العمل لله واسعة ومتشعبة، وأن إمكانيات البشر مختلفة ومتفاوتة، وأن الذي لا يستطيع أن يؤدي في مجال يستطيع أن يبدع في مجال آخر.. وكل ميسر لما خلق له..

قالت الأم الذكية لابنها المتحمس: أنت تتقن القراءة والكتابة – وهذا نادر في ذلك الزمن – وأنت تحفظ كثيرًا من سور القرآن الكريم حفظًا جيدًا، فلنذهب إلى رسول الله ﷺ لنرى كيف يمكن أن نوظف هذه الطاقات لخدمة الإسلام والمسلمين..

يا لروعة التفكير، وصدق الاجتهاد، وعمق النظرة!!

وذهبوا بالفعل إلى رسول الله ﷺ مع بعض الرجال من قبيلتهم، وهم جميعًا يرجون من الرسول ﷺ أن يقبل زيد بن ثابت رضي الله عنه في عمل يخدم الإسلام والمسلمين..

ل الله ﷺ:

«يا نبي الله، هذا ابننا زيد بن ثابت يحفظ سبع عشرة سورة من كتاب الله، ويتلوها صحيحة كما أنزلت على قلبك، وهو فوق ذلك حاذق يجيد الكتابة والقراءة، وهو يريد أن يتقرب بذلك إليك، وأن يلزمك، فاسمع منه إن شئت».

فاستمع رسول الله ﷺ إلى زيد رضي الله عنه، واكتشف مهارته وقدرته على الحفظ، وقدر قيمة المهارة التي يتقنها زيد رضي الله عنه فوق الحفظ، وهي مهارة الكتابة والقراءة، ولم يستصغر سنه، أو يقلل من شأنه، بل طلب منه طلبًا

ل الله ﷺ:

«يا زيد، تعلم لي كتابة اليهود، فإني لا آمنهم على ما أقول».

لقد أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت رضي الله عنه بتعلم لغة أجنبية مهمة في ذلك الوقت، ولأغراض سياسية هامة قد تؤثر تمامًا على سير العلاقات الدبلوماسية والحربية بين أمة الإسلام واليهود.. هذا مع كون زيد بن ثابت رضي الله عنه في الثالثة عشرة من عمره!

وقد صدق حدس رسول الله ﷺ، فإن زيدًا رضي الله عنه أكب على دراسة اللغة العبرية فأتقنها في وقت يسير جدًّا، وصار يتكلمها ويكتبها كأهلها، ثم إن الرسول ﷺ طلب منه أن يتعلم أيضًا اللغة السريانية، وكانت من اللغات الدارجة في ذلك الزمن، فتعلمها زيد رضي الله عنه، صار بذلك ترجمان الدولة الإسلامية، والشريك الدائم في أي مفاوضات أو مراسلات بين القبائل الأجنبية والدولة الإسلامية..

كل هذا وهو في الثالثة عشرة من عمره!!

ات الشباب؟!

ثم إن الرسول ﷺ اطمأن إلى إتقانه أكثر وأكثر، فأمنه على ما هو أخطر من المراسلات والعلاقات الدبلوماسية، لقد أمنه ﷺ على وحي السماء، فطلب منه أن يكتب القرآن، فكان إذا نزلت عليه مجموعة من الآيات طلب زيدًا رضي الله عنه، وقال له: يا زيد، اكتب، فيكتب زيد رضي الله عنه، فصار بذلك من كتبة الوحي..

ومرت الأيام، ومات رسول الله ﷺ، وشعر المسلمون بالمأزق الخطير الذي

قد يتعرضون له إذا فقدوا آية أو آيات من القرآن الكريم، فالقرآن الكريم لم يكن مجموعًا في كتاب واحد أيام رسول الله ﷺ، ويُخشى على الأجيال القادمة أن تفقد جزءًا من القرآن، أو على الأقل تفقد ترتيبه، وهنا أشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أبي بكر الصديق رضي الله عنه بجمع القرآن في كتاب واحد، وبعد مناقشات ومحاورات قبل أبو بكر الصديق رضي الله عنه الفكرة، ولكن تبقى مشكلة خطيرة، فعلى أكتاف من ستلقى هذه التبعة الضخمة، ولم يجد أبوبكر الصديق رضي الله عنه أفضل من زيد بن ثابت رضي الله عنه ليقوم بهذه المهمة الخطيرة جدًّا، فهو إلى جانب كونه يتقن القراءة والكتابة، فقد كان من كتبة الوحي، ويعلم دقائقه، ومتى نزلت الآيات، وكيف نزلت، ولأي سبب نزلت، وترتيب نزولها، وكيفية جمعها مع الآيات السابقة واللاحقة..

وهكذا كلف زيد بن ثابت بهذه المهمة الشاقة جدًّا، مع كونه وقت جمع القرآن كان في الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين فقط من عمره، أي أنه لو كان في زماننا فإنه لن يكون قد انتهى بعد من دراسته الجامعية، ومع ذلك فقد وضعت على أكتافه مهمة لا توضع إلا على أكتاف الأساتذة والمعلمين البارعين المتميزين، وهذا في وجود العدد الضخم من شيوخ الصحابة والسابقين إلى الإسلام.. ولكنه قُدم عليهم جميعًا بكفاءته ومهارته وقدراته الهائلة مع كونه شابًّا صغيرًا..

:

«والله، لو كلفوني نقل جبل من مكانه، لكان أهون عليّ مما أمروني به من جمع القرآن».

ومع ذلك نجح الشاب الصغير زيد بن ثابت رضي الله عنه في المهمة

الجليلة التي تحتاج جيلًا كاملًا من العلماء..

ات الشباب!!

معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما، ومعوذ بن عفراء رضي الله عنهما:

وهذان الشابان الصغيران جدًّا لهما من الأثر ما لا يتخيله أحد أو يستوعبه، فالأول في الرابعة عشرة من عمره والثاني في الثالثة عشرة من عمره، ومع ذلك فهما يسارعان بالانضمام إلى جيش المسلمين المتجه إلى بدر، وعلى عكس زيد بن ثابت رضي الله عنه فإنه كان يبدو عليهما كبر السن نسبيًّا، وقوة الجسد مما جعل رسول الله ﷺ يقبلهما في الجيش المقاتل..

ومع كونهما في هذه السن الصغيرة لكن سبحان الله كان طموحهما أكبر بكثير من طموح كثير من الرجال أو الشيوخ!..

وأترك عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه كما جاء في البخاري يصور لنا موقفًا عجيبًا لهذين الشابين العملاقين حقًّا!

:

«إني لفي الصف يوم بدر إذ التفتُّ، فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما»..

وهما معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما، ومعوذ بن عفراء رضي الله عنهما..

فعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يتعجب من وجود هذين الغلامين الصغيرين في معركة خطيرة كبدر، ولم يشعر بالأمان لأنه لو هجم عليه أحد المشركين فلن يجد – في اعتقاده – مساندة أو مساعدة ممن حوله لصغر سنهما..

ثم يكمل عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه فيقول متعجبًا:

«إذ قال لي أحدهما سرًّا من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل».

وكان هذا الذي تكلم هو معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما، وهو من الأنصار، فلم يكن قد رأى أبا جهل قبل ذلك، ولفت نظر عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه هذا السؤال عن قائد جيش المشركين، وجبار مكة، وفرعون هذه الأمة، فسأل الغلام الحدث: «يا ابن أخي، فما تصنع به؟».

فرد الغلام الصغير ردًّا أذهل عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه!..

قال معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما: «أُخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا!».

ا الله!!

كم هو خالد هذا الموقف!!

الغلام الصغير الذي يعيش في المدينة المنورة، سمع أن رجلًا يسب رسول الله ﷺ في مكة على بعد حوالي خمسمائة كيلو متر من بلده، فتحركت الحمية في قلبه، والغيرة على حبيبه رسول الله ﷺ، فقرر أن يفعل شيئًا يدافع به عن معتقداته ومقدساته، وجاءت الفرصة في بدر عندما جاء الله عز وجل بأبي جهل إلى بدر، ليسهل على الغلام الصغير أن يلتقي بأبي جهل.. فقرر أن يقتله بنفسه!!

إنه أقسم قسمًا مغلظًا أنه لو رأى أبا جهل فلن يتركه حتى يموت واحد منهما!!

إنه لم يجعل حلمه أن يشارك فقط في بدر، ويقوم بمهمة التمثيل المشرف وكفى!!

ولم يكتف بأن يحلم بقتل أحد المشركين وكفى!!

ولكن جعل حلم مستقبله وقضية حياته، وهدف عمره أن يقتل هذا الطاغية، وإن كان الثمن أن يموت هو في سبيل الله!!

ا سبحان الله!!

كان من الممكن ببساطة – ولن يلومه أحد – لو قال في نفسه أقاتل رجلًا بسيطًا عاديًا من المشركين، وأترك مهمة قتل هذا الزعيم الكبير لأحد صناديد الجيش الإسلامي، أو أحد الفرسان المشهود لهم بالكفاءة في القتال.. لكن سبحان الله، كانت همته كالقمم الشامخة..

ولم يكن هذا موقفًا عاديًا.. بل كان موقفًا عجيبًا حقًا.. حتى إن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «فتعجبت لذلك!»..

ولكن عجب عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه لم يتوقف عند هذا الحد، فمعاذ بن عمرو بن الجموح – رضي الله عنهما – لم يكن حالة فردية شاذة في الجيش المسلم، إنما كان له قرين مسلم صالح في مثل سنه أو أصغر، ينافسه في نفس القضية..

:

«وغمزني الآخر – معوذ بن عفراء رضي الله عنهما – فقال لي مثلها».

ثم قال: «فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه».

ورأى البطلان الصغيران الرجل الذي أُخبرا أنه سب رسول الله ﷺ، فغلى الدم في عروقهما، وتأكدت عزيمتهما على إنفاذ المهمة الجليلة التي طالما راودت أحلامهما وأفكارهما.. وأترك الكلام لمعاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنه يصور الموقف الرائع، وذلك كما جاء في رواية ابن إسحاق، وفي طبقات ابن سعد رحمهما الله..

ل معاذ:

«سمعت القوم – وأبوجهل في مثل الحرجة (أي الشجر الملتف) – وهم يقولون: أبو الحكم لا يُخلص إليه»..

لقد جاء أبوجهل الزعيم القرشي الكبير في مثل غابة من الرجال الأقوياء الأشداء يحمونه ويدافعون عنه.. إنه رأس الكفر، قائد الجيش، ولاشك أن أقوى كتائب مكة ستقوم بحمايته، وهم يتنادون فيما بينهم: احذروا من قتل الزعيم الكبير، يقولون: أبوالحكم (أبوجهل) لا يخلص إليه، أي لا يصل إليه أحد من المسلمين..

ومع هذه الحماية المكثفة، والإحاطة المركزة، فإن كل ذلك لم يمنع معاذًا رضي الله عنه من أن يعزم على استكمال مهمته، وعلى تحقيق حلم حياته..

ل معاذ:

«فلما سمعتها – أي كلمة «أبوالحكم لا يخلص إليه» - جعلته من شأني، فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه، فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه، أي أطارت نصف ساقه تمامًا!!

سبحان الله!!

ضربة واحدة بالسيف من ساعد هذا الفتى الصغير تبتر ساقًا لرجل في لحظة واحدة!!

ا الأطباء الذين يقومون بعمليات البتر عن صعوبة ذلك!!

ا الفرسان الذي خاضوا المعارك الهائلة عن تعذر ذلك!!

عن أي شيء نتحدث يا شباب أمة الإسلام؟!

هل نتحدث عن الفروسية في أعلى درجاتها.. أم عن الشجاعة في أبهى صورها.. أم عن المهارة القتالية في أعظم فنونها.. أم عن قوة الساعد.. أم عن

عمق النظرة.. أم عن صدق الجهاد، وإخلاص النية، وقوة الإرادة. أم قبل ذلك وفوق ذلك نتحدث عن توفيق رب العالمين للمجاهدين في سبيله..

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:69].

هذا يا شباب الأمة شاب في الرابعة عشرة من عمره!!

قطع ساق أبي جهل، وهو في وسط الحماية الكافرة المكثفة بضربة واحدة!!

لقد حقق حلمه، وشفى صدره، وثأر لحبيبه رسول الله ﷺ، لكن هل كل ذلك بلا ثمن؟! مستحيل!! لابد من دماء.. فشجرة العزة لا تنمو إلا بدماء المجاهدين والشهداء..

:

«وضربني ابنه عكرمة بن أبي جهل – وكان مازال مشركًا في موقعة بدر – على عاتقي، فطرح يدي، فتعلقت بجلدة من جنبي»..

لقد فصلت يد الغلام الصغير عن جسده، ولم تعد معلقة إلا بجلدة!!

لقد فقد ذراعه في سبيل الله..

ولكن أتراه قد أحبط ؟! أتراه قد ندم؟! أتراه قد شعر أنه تهور؟! أتراه تمنى أن لو عاش سالمًا في المدينة بعيدًا عن الجروح والآلام والإعاقة؟!

ام..

إن كل ذلك لم يراوده مطلقًا..

إنما كان الذي يشغله في هذه اللحظات هو أن يستكمل مسيرة الجهاد في سبيل الله.. فمازال هناك أعداء يحاربون، ولابد أن يدافع المخلصون، ولو كانوا بيد واحدة!!

:

«فلقد قاتلت عامة يومي، وإني لأسحبها خلفي، فلما آذتني وضعت عليها قدمي، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها..».

لقد فصل يده تمامًا عن جسده ليكمل القتال بحرية!!

!!

وأين صاحبه الذي كان يتنافس معه في قتل الطاغية الأكبر؟

أين معوذ بن عفراء رضي الله عنهما؟

استمعوا إلى معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما يحكي عن صاحبه:

«ثم مر بأبي جهل وهو عقير معوذ بن عفراء رضي الله عنهما، فضربه حتى أثبته، فتركه وبه رمق».

أي أن معوذ بن عفراء رضي الله عنهما أيضًا حقق أمنيته ووصل بسيفه إلى أبي جهل وهو في وسط كتيبته وحراسه، واستطاع أن يضربه ضربة أوقعته قعيدًا مشلولًا على الأرض، ولكنه مازال به رمق، وكما نعلم سيأتي بعد ذلك عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ليكمل قتل أبي جهل..

وهكذا تعادل البطلان الصغيران في المباراة التي تنافسا فيها!!

ن!!

وذهب كلاهما إلى رسول الله ﷺ يقول كل واحد منهما: أنا قتلت أبا جهل يا رسول الله..

فقال لهما رسول الله ﷺ كما جاء في البخاري ومسلم:

«هل مسحتما سيفيكما؟ قالا: لا، فنظر في السيفين وقال: «كلاكما قتله!».

لقد أقر رسول الله ﷺ بالتعادل بين المجاهدين الصغيرين..

سبحان الله!!

هل انتهت قصة الغلامين الحدثين؟!

لا يا شباب الأمة!!

ما زال في القصة فصل أخير..

لقد رأينا معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما قد فقد يده ثمنًا لجهاده وصدق عزيمته..

فماذا دفع معاذ بن عفراء رضي الله عنهما؟

لقد دفع روحه بكاملها!!

لقد استكمل الشاب الصغير جدًّا – الذي يبلغ الثالثة عشرة من عمره – مسيرة الجهاد بعد أن ساهم مساهمة جادة في قتل أبي جهل، فلم يكتف بهذا العمل المجيد، وهذا الأثر الخالد، بل قاتل هنا وهناك، حتى لقي الشهادة في سبيل الله، وهو في هذه السن المبكرة!!

..

..

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:**26**].

يحزن المرء كثيرًا عندما يشاهد كثيرًا من الشباب لا يتنافسون إلا في مجالات التشجيع لفريق كروي، والتعصب لأحد الأندية!! وليت التنافس يكون شريفًا، بل يصل كثيرًا إلى التصارع والتشاحن والبغضاء والتراشق بالألفاظ ثم بالحجارة!! وليت الشباب يتنافسون عن طريق ممارسة الرياضة، بل يتنافسون فقط في مشاهدة الرياضة، وليتهم يتنافسون في أوقات فراغهم، بل تضيع منهم أولوياتهم الواحدة تلو الأخرى!!

لينظر شباب الأمة إلى هذين المثالين الرائعين لشابين في الرابعة عشرة والثالثة عشرة من عمرهما، ليعلما أن طاقات الشباب أوسع بكثير من تخيلاتهم، وأن أحلام وأهداف الشباب يجب أن تكون على مثل هذا المستوى الراقي في التفكير..

- **أسامة بن زيد رضي الله عنهما:**

من أروع أمثلة الشباب في التاريخ..

وكلنا يحفظ له الموقف الجلل عند توليته على جيش المسلمين الخارج لحرب الرومان، لكن قبل الحديث عن هذا الموقف العظيم نذكر أن هذا ليس أول وجود للبطل الصغير، وليس أول ظهور لاسمه في التاريخ..

فقد اشترك رضي الله عنه في غزوات كثيرة قبل هذه المرة، وكان له وجود ملموس وأثر واضح..

من ذلك مثلًا سرية غالب بن عبدالله رضي الله عنه في السنة السابعة من الهجرة، وكان يبلغ من العمر وقتها أربعة عشر عامًا! وأيضًا فتح مكة وحنين وغير ذلك.

ولم يكن أسامة بن زيد رضي الله عنهما بالشخصية العابرة في حياة المسلمين، بل لم يكن كذلك في حياة رسول الله ﷺ.. لقد كان أسامة بن زيد رضي الله عنهما شخصية معتبرة جدًّا، ومؤثرة جدًّا، ولها قيمتها.. لدرجة أن الصحابة إذا أرادوا شيئًا من رسول الله ﷺ وهابوا أن يكلموه، ذهبوا إلى أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وطلبوا منه أن يكلم هو رسول الله ﷺ في الأمر الذي يريدون، وذلك مع صغر سنه، فلم يكن يزيد في هذه الشفاعات بين الرسول ﷺ وبين الصحابة على خمسة عشر عامًا، ولكن لمكانته عند رسول الله ﷺ، ولرجاحة عقله، وسعة أفقه، كان يُقدم لمثل هذه الأمور..

أعظم..

فقد كان أسامة بن زيد رضي الله عنهما مشاركًا في غزوة المريسيع في السنة الخامسة من الهجرة، وهي الغزوة التي شهدت الحادث المؤسف الأليم: حادث الإفك، وطعن الطاعنون في السيدة الشريفة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما، ولم ينزل الوحي مباشرة، وإنما تأخر شهرًا كاملًا، وكان الرسول ﷺ في موقف صعب، ولا يدري حقيقة ما يفعل.. لقد ركبته الحيرة من الكلمات التي تشاع هنا وهناك، وتعقد الموقف تمامًا، وأراد الرسول الحكيم ﷺ أن يأخذ بركة الشورى، فقرر أن يستشير بعض أصحابه في الذي يجب أن يفعله في هذا المأزق الخطير.. فمن استشار؟! تخيلوا أنه أرسل إلى اثنين فقط من أصحابه ليستشيرهما في هذا الموقف المعقد، فكان أحدهما هو أسامة بن زيد رضي الله عنهما، والثاني هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه..

لقد كان أسامة بن زيد رضي الله عنهما في ذلك الوقت في الثانية عشرة فقط من عمره!..

قد يظن ظان أن عقل هذا الشاب الصغير جدًّا قد لا يستوعب أصلًا القصة، ولا يفهم أبعادها أو خلفياتها، فضلًا عن أن يدلي برأي فيها.. ولكن سبحان الله.. لقد رأى رسول الله ﷺ في إمكانيات أسامة بن زيد رضي الله عنهما العقلية ما يؤهله للاستشارة في هذا الأمر الجلل، ومن الذي يستشير؟! إنه سيد الخلق، وأحكم البشر، والمعصوم رسول الله ﷺ..

هذه – والله – من أعظم مناقب أسامة بن زيد رضي الله عنهما.. بل هي من أعظم مناقب الشباب بصفة عامة.. فوصول شاب إلى هذه الدرجة الراقية من العقل والفكر يفتح آفاقًا هائلة للشباب ليحسنوا استغلال طاقاتهم المدفونة في أعماقهم، وييسر لهم استيعاب القدرات المهولة التي زرعها فيهم رب العالمين جلت عظمته وقدرته..

ثم كان القرار العجيب الذي أمتعنا به رسول الله ﷺ قبل وفاته، وهو تولية هذا الشاب الصغير أسامة بن زيد رضي الله عنهما – وكان يبلغ آنذاك بالكاد ثمانية عشر عامًا – على قيادة الجيش الإسلامي الضخم المتجه إلى حرب الرومان في الشام..

والقرار عجيب فعلًا، ويحتاج إلى وقفة طويلة، وتدبر عميق..

فأسامة بن زيد رضي الله عنهما لا يرأس في هذا الجيش مجموعة من الغلمان والصبيان، أو مجموعة من البسطاء الذين ليس لهم في أمور القتال، وإنما يرأس مجموعة من أعظم العمالقة.. وهم عمالقة في كل شيء.. عمالقة في الفروسية، وفي التخطيط العسكري، وفي الإيمان، وفي السبق إلى الإسلام، وفي الخبرة، وفي الصحبة، وفي المكانة..

ل..

ألم يكن في المدينة المنورة من هو أفضل من أسامة بن زيد رضي الله عنهما لقيادة الجيش؟!

والإجابة واضحة.. فإنه – ولاشك – كان في المدينة رجال كثير على مستوى أعلى وأفضل من أسامة.. كان هناك الكثير من القادة العسكريين أمثال أبي عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وخالد بن الوليد والقعقاع بن عمرو وشرحبيل بن حسنة والمثنى بن حارثة وعمرو بن العاص وغيرهم وغيرهم..

فلماذا يرفع رسول الله ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنهما فوق كل هؤلاء؟. ولماذا يصر على ولايته رغم تردد بعض الصحابة في قبول فكرة ولاية هذا الشاب الحدث على هذا الجيش الخطير؟!

..

إن الرسول ﷺ يريد أن يوضح لنا إمكانيات الشباب وطاقاتهم.. فها هو

الشاب الصغير الذي لم يتجاوز الثامنة عشرة يستطيع بجدارة أن يقود هذا الجيش الهائل بمن فيه من القادة والزعماء والأبطال..

والرسول ﷺ يريد أن يرسخ فينا أسلوب التوريث للخبرة، والتدريب للجيل الناشئ.. ولو ظل القائد الكبير قائدًا طيلة حياته دون أن يسمح بظهور الطاقات إلى جواره فإن هذا يقود الأمة – لا شك – إلى الهلكة والاضمحلال.. لكن تربية الشباب على القيادة والريادة والإدارة منذ صغر سنه يعطي الأمة أعمارًا فوق عمرها.. ويرسخ أقدامها بين غيرها من الأمم.. إنها ليست حاضرًا فقط.. بل هي المستقبل أيضًا..

ولابد أن نأخذ في الاعتبار في هذا الموقف أن الجيش الإسلامي الذي يرأسه أسامة بن زيد رضي الله عنهما لا يخرج في مهمة استطلاعية، أو مهمة تدريبية، أو مهمة بسيطة أمر النصر فيها محسوم.. إن هذا الجيش يذهب ليقابل أعتى جيوش الأرض في ذلك الزمان.. إنه جيش الإمبراطورية الرومانية العظمى.. الجيش صاحب التاريخ الطويل، والانتصارات المجيدة.. ولابد أن نلحظ هنا أن الرسول ﷺ عندما ولى أسامة بن زيد رضي الله عنهما لم يكن – بأي حال من الأحوال – يلقي بجيش المسلمين إلى التهلكة، إنما كان يعلم تمام العلم أن هذا الشاب يستطيع بكفاءة أن يقوم بهذه المهمة الخطيرة، وأصر على ولايته حتى بعد أن أبدى بعض الصحابة اعتراضهم واستغرابهم لولاية هذا الشاب الصغير على هذا الجيش الخطير.. وهذا الإصرار ليزرع المعنى في قلوبنا بوضوح.. وهو المعنى الذي يخفى على عقول كثير من الآباء والمربين والدعاة.. وهو أن إمكانيات الشباب هائلة..

هذا الشاب أسامة بن زيد رضي الله عنهما الذي لم يبلغ ثمانية عشر عامًا كان قد استكمل في سنوات عمره المعدودة فنون الفروسية والقتال والقيادة والإدارة والفقه والعلم، بحيث أصبح قادرًا على أداء هذه المهمة الخطيرة..

مع العلم يا شباب الأمة أن هذا الشاب العظيم لم يكن يتمتع بما يحلم به كثير من شباب اليوم من وضع اجتماعي معين، أو شكل وسيم، أو لباس فخم أنيق..

لقد كان هذا الشاب رجلًا بسيطًا جدًّا، وهو ابن لرجل بسيط كذلك، هو زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ، وكان أبوه ممن يُباع ويشترى، وأعتقه رسول الله ﷺ.. فأسامة رضي الله عنه كان من عائلة فقيرة بسيطة، ولم يكن ابنًا لغني من الأغنياء أو وزير أو أمير.. كما أن أسامة رضي الله عنه لم يكن شابًا وسيمًا جميلًا.. لا على العكس تمامًا.. إنه لم يكن حسن الصورة ولا جميل الوجه.. وهذا ليثبت للشباب في كل الأمة أن المقومات الحقيقية لنجاح الشاب تكمن أساسًا في دين الشاب وفي عقله وعلمه وكفاءته وتدريبه، ولا تكمن أبدًا في عرق أو عنصر أو نسب أو مال أو جمال صورة..

ولقد قال الرسول ﷺ في حقه كلمة هي فخر لكل الشباب المسلم، فقد روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: بعث النبي ﷺ بعثًا وأمَّر عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في إمارته، فقال النبي ﷺ: «أن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقًا للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليَّ بعده».

رهم..

وألا ما أعظم الأمة إن يأخذ الشباب فيها وضعهم الحقيقي، ومكانتهم التي تتناسب مع طاقاتهم وقدراتهم..

..

ووددت لو ذكرت لكم تفصيلًا عن الشباب في دولة الإسلام.. ولكن هذا حديث يطول جدًّا.. وليس من غرض هذه الرسالة الحصر والاستقصاء..

ولكن فقط ضرب الأمثلة.. وراجعوا إن أردتم سير الشباب العظماء في أمة الإسلام أمثال مصعب بن عمير وسمرة بن جندب وجعفر بن أبي طالب وأسعد بن زرارة ومعاذ بن جبل وسعد بن معاذ وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمرو بن العاص والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وغيرهم وغيرهم وغيرهم.. رضي الله عنهم جميعًا، وأكثر الله من أمثالهم..

وليس هذا العدد في جيل الصحابة فقط.. بل أيضًا في كل مراحل التاريخ الإسلامي.. وراجعوا إن شئتم شباب الإسلام أمثال أبي إدريس الخولاني ومحمد القاسم والبخاري والنووي وصلاح الدين وقطز ومحمد الفاتح وعبدالرحمن الداخل وعبدالرحمن الناصر وغيرهم..

ا..

ونسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين..

الباب الأول

المخاطر التي تواجه الشباب المسلم وكيف نتوقاها؟

المخاطر التي تواجه
الشباب المسلم وكيف نتوقاها؟

ن بين الشباب المسلم:

يلاحظ أن ظاهرة تدين الشباب في العالم كله تثير التعليقات المتنوعة، فالبعض يرجعها إلى انغماس العصر في مادة طاغية، أصابت الأرواح والعقول بالاضطراب، وزادت من شقاء الإنسان بدل أن تيسر له أمره، فعمت الشكوى من حضارة العصر بواسطة أبنائها أنفسهم، منهم الكاتب الإنجليزي إدوارد بوند الذي يرى أن علوم العصر وتقنياته قد أمدتهم بقوة المارد، لكنها كذلك أمدتهم بأخلاق المارد وأهدافه، وهي أخلاق وأهداف تنطوي على خبث وشر وتدمير[1].

ربما ينطبق هذا التفسير على عودة الشباب في أوروبا كحركة رد فعل للظروف التي مرت بها القارة من حيث سلطان رجال الكنيسة على التفسيرات العلمية، وموجات التشكيك على أثر ظهور التقدم العلمي في عصر النهضة، إذ أن الابتعاد عن الدين كان عامًا شاملًا، ومتصلًا بعوامل جذرية مرت بالمجتمعات هناك، وبعد أن استعاضت الجماهير في شبه القارة الهندية إلا بتحريك العقيدة في النفوس، كما حقق المسلمون نتائج باهرة على أرض فلسطين في المعارك الأولى عام **1948**م الغربية عن الفراغ الديني بأيديولوجيات لا تفترق عن الأديان البدائية من حيث عبادة الذات، وإن تسترت تحت ستار القومية أو الاشتراكية – متمثلة في تأليه الدولة أو الحاكم[2]، عادت العاطفة الدينية تلح للظهور من جديد، لأن هذه العاطفة في الإنسان عامة تدل على وجود عنصر نبيل سماوي وإن تناسى الإنسان وتلهى

---

(1) من مقال للدكتور زكي نجيب محمود (حضارة تأكل نفسها) جريدة الأهرام **1974/3/1**م.

(2) د. أحمد صبحي: في فلسفة التاريخ ص**299** مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية **1975**م.

عنه حينًا قانعًا بالدون من الحياة الجثمانية المتحطمة[3].

والحديث يتصل باختلاف التصور الديني في الغرب عنه في الشرق الإسلامي، فإذا كان هناك مجرد عاطفة تملأ فراغًا في النفس عند الشدائد والكروب، فإنها هنا لها جذورها في إقامة شئون الحياة بأكملها حتى وقت قريب كعقيدة وشريعة، ولكن هذا حديث آخر لا يتصل بموضوعنا إلا بقدر إظهار اختلاف البواعث لدى شبابنا عنه هناك، فالاتجاه للإسلام من جديد عندنا له شأن آخر، إذ كانت العقيدة عميقة في النفوس وظلت العامل المحرك طوال التاريخ حتى العصر الحديث، وآية ذلك أننا نرى العلاقة ثابتة فيما تحقق من أعمال باسم الدين، فنجحت حركات استقلالية لاستعادة الأصالة الإسلامية في بلادنا، مثل السنوسية في ليبيا، والمهدية في السودان، وحركة الإمام عبدالحميد بن باديس في الجزائر، ولم تظهر الباكستان كدولة إسلامية عندما كانت الطلائع المجاهدة من شباب المسلمين تعمل تحت راية الجهاد، مما دفع أحد القادة الإسرائيليين إلى الامتناع عن مهاجمة صور باهر – قرية قريبة من القدس – لأن فيها قوة كبيرة من المتطوعين المسلمين، ووصفهم بأنهم يختلفون تمامًا عن المقاتلين النظاميين، فالقتال عندهم ليس وظيفة يمارسونها وفق الأوامر الصادرة إليهم، بل يندفعون للقتال حبًّا في الموت، ويتحولون إلى قوة ماردة تتحدى كل شيء معقول!![4]

فلا نعجب بعد هذا إذا رأينا أعداء الإسلام يغيرون أساليبهم عندما قوبلوا بعقيدة الإسلام كعقبة كؤود، فالتفوا حولها وأغرقوا بلاد المسلمين بالنظريات والفلسفات، وأثاروا النعرات القومية والوطنية، وحركوا عملاءهم وألبسوهم ثياب الزعامة، وبدأوا بالخطوة الكبرى وهي القضاء على الخلافة الإسلامية،

---

(3) د. دراز: الدين ص**100**.

(4) جلال العالم: دمروا الإسلام أبيدوا أهله ص**59** .

ثم قطعوا أوصالها إربًا إربًا فسهل عليهم احتلال البلاد بعد تجزئتها، وفعلًا مضت الحملات بمؤامراتها الظاهرة والخفية إلى غاياتها، فاحتلت إنجلترا مصر والسودان والهند، واحتلت فرنسا أرض الشام وتونس والجزائر ومراكش، واستولت إيطاليا على ليبيا والحبشة، وافترست روسيا المسلمين بعد الثورة الماركسية ونكلت بهم وشردتهم ومزقتهم كل ممزق بعد أن خدعتهم في البداية لتضمن تأييدهم فكان جزاؤهم جزاء سنمار[5].

ونجح هذا المخطط المحبوك، المرسوم بعناية في أروقة وزارات الاستعمار وفقًا لمصالح الغرب الظافر فدخل بلاد الإسلام بقصد الكسب وتولي الشئون مباشرة، ثم استطاع بواسطة المؤامرات المختبئة في سراديب الجمعيات السرية – لاسيما الماسونية – استطاع أن يلحق النكبات والكوارث، ولكن عجز على حد قول هانوتو وزير خارجية فرنسا، أن يثبط من عزائمهم.

ولمثل هذه العبارة، وغيرها على ألسنة رجال الاستعمار الغربي وساسته، مغزى يلفت النظر، فإن صمود الأمة بالرغم من الكوارث والنكبات التي حلت بها – لاسيما في القرن الأخير – دليل ما بعده دليل، على أن مقومات كيانها العقدي ثابتة، وأن بوسعها النهوض بعد الكبوة التي طالت لتأخذ بزمام الأمور من جديد، فما زالت الأمة الإسلامية مدعوة لقيادة العالم كله بعد أن اضطرب وتخبط عندما قطع صلته بالله سبحانه وتعالى: قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[6].

فبالرغم من كل ما أصيب به المسلمون من علة وضعف فإنهم (هم الأمة

---

(5) أوجين يونغ: الإسلام وآسيا أمام المطامع الأوربية ص**156** مطبعة النهضة بمصر **1928**م. وهو تتمة كتاب (استعباد الإسلام) وعنوانه غني عن التعليق .

(6) [آل عمران:**110**].

الوحيدة على وجه الأرض التي تعد خصيم الأمم الغربية وغريمتها ومنافستها في قيادة الأمم.. وأن تقودها إلى الفضيلة والتقوى، وإلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة)[7].

فالمسلمون على علاتهم موئل الإنسانية وأمة المستقبل.

:

للمشاكل والصعوبات التي يواجهها الشباب المعاصر جذوره ممتدة منذ سنين طويلة، ولكن ما العلاقة بين هذه المشاكل وظاهرة التدين؟

ل السابق. إننا نرى أن هذا الجيل قد تعَرَّض لأنواع من المصاعب أشد وأقسى من الجيل السابق، فقد واجه نوعًا جديدًا من الاستعمار، فبعد حصول بلاده على الاستقلال وتمتعها بالحرية الظاهرة في إدارة دفة أمورها، ظهر لون آخر من الاستعمار هو الاستعمار الاستيطاني الذي يضرب جذوره في باطن الأرض، فينشئ دولة معترف بها دوليًا بالباطل، ويغلف وجوده بعقيدة، ويقوى شوكتها بدولتين كبيرتين حتى لم تعد تجاهر بما جاهر به المستعمرون من قبل بأنهم جاءوا بصفة مؤقتة ليعودوا أدراجهم، ولكنها أقنعت العالم بأنها جاءت هنا لتبقى مستقرة على حساب سكان الأرض الأصليين الذين اجتثتهم من جذورهم ورمتهم من وراء أسوار منازلهم وقراهم ومدنهم ليتحولوا إلى شعب من اللاجئين.

وجاءت الطامة الكبرى عقب حرب الأيام الستة، فأخذ الألم يعصر قلوب المسلمين بعامة وشبابهم بخاصة لأن المسجد الأقصى أصبح أسيرًا في أيدي اليهود، وظهر مصطلح الأمر الواقع تعبيرًا عن غلبة القوة على الحق فتغيرت المعايير وتبدلت الموازين:

---

(7) أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص**264** دار الكتاب العربي – بيروت **1387**هـ - **1967**م .

ا: كيف يهزم المسلمون بواسطة قلة من اليهود؟ أو بعبارة أصرح كيف يهزم الباطل الحق؟ والتبس الأمر على الكثيرين!!

وأخذ الشباب المسلم ينظر إلى ما حوله متألمًا، مستفسرًا، إذ رأى أن الجلاء عن الأرض أصبح سرابًا، لأنه ترك استعمار أشد وأدهى، ثم رأى أن اعتناق الفلسفات والمذاهب الواردة والأخذ بها في مجالات التعليم وأنظمة الاقتصاد والسياسة وغيرها لم تؤد إلى التقدم المطلوب بل على العكس أدت إلى المزيد من التقهقر لأن عملية النقل لم تفرق بين الغث والثمين، بل قلدت كل ما هو سيء وأهملت الأسلوب الكفيل بملاحقة التقدم الحضاري في شطره المادي، واستيعاب محاسنه دون مساوئه. (إذ لم يفرق المقلدون بين الحضارة الصناعية والحضارة الأخلاقية، ولم يميزوا بين ما يلائم وما لا يلائم. فقاسوا الأخلاق والآداب وسنن الجماعات وروابط الأسر والعقائد والمذاهب على السيارات والطائرات والغواصات والمدمرات، وفتنوا بالمسرح والسينما)[8].

وكما يفيق المغمى عليه ويعود إلى نفسه، كذلك أخذت الطلائع الشابة الواعية ترقب فشل الأنظمة المستوردة من الشرق أو الغرب التي أدى تطبيقها إلى المزيد من الفشل والهوان، وأدركت أن هذا الفشل يرجع إلى بعد الأمة عن طريقها، وانقطاع صلتها بالعقيدة والتراث، وأخذ صوت الإسلام يدوي بين الصفوف. لِمَ الاستغراب إذن من عودة ظهور التدين بين شباب الإسلام؟

إن العقيدة لم تختف أصلًا بل ظلت باقية، كل ما هنالك أنها اختفت وراء ستر رقيق، ذلك أنه ينبغي التمييز بين العوامل الجوهرية للنهوض بالأمم

(8) أنور الجندي: يقظة الفكر العربي ص**234**، حركة اليقظة في مواجهة التغريب (مرحلة ما بين الحربين) مطبعة زهران **1972**م.

واندثارها وبين مظاهر التدهور والضعف التي تنتابها بين حين وآخر كعوارض مرضية تظهر لتختفي.

ههها:

وعلى الداعية الإمساك بهذه الظاهرة – ظاهرة تدين الشباب واستمساكه بالإسلام – وجعلها باعثًا لتحقيق الآمال في النفوس، فما الشباب إلا تجسيد لآمال المستقبل وتعبيرًا عن استعادة الأمة لحيويتها بسواعد أبنائها.

على أن الطريق لن يكون مفروشًا بالورد، فما ظهور الشباب المتدين إلا بمثابة مولود جديد خرج إلى الحياة بعد آلام المخاض التي عانت منها الأمة الإسلامية ما عانت، فإذا لم يحظ بالعناية الكافية، ربما حدثت ردة لا يعلم إلا الله مدى آثارها.

والآن وقد استدرجنا إلى فتنة القوميات والعصبيات الإقليمية ثم الأيديولوجيات المعاصرة على الدعاة تعميق الوعي والتسلح بمعرفة أساليب الأعداء في الغزو لإمكان الدفاع عن النفس ومواجهة الأمواج العاتية التي تريد اكتساح العالم الإسلامي بأسره واقتلاع جذور عقيدته.

وعلى الدعاة استثارة القيم الكامنة في القلوب فمهما ظهر على السطح من صور الباطل ودعاته فإن عقيدة الإسلام كامنة، وعمل الدعاة ومهارتهم تظهر في تحويلها إلى عامل فعال فقد حركت هذه القيم المسلمين وجعلتهم جنودًا دائمين للمحافظة عليها (وهي التي كانت تجمعهم كلما فرقهم المفرقون، أو تعيد الضالين إلى الإيمان كلما ضللهم المضللون، وهي التي كانت تناديهم ليكونوا دائمًا متأهبين حذرين)[9].

ولا يتصور ونحن في معركة قد تكون هي الفاصلة بين بقائنا كأمة إسلامية وبين كيان غريب يمثل قمة التحدي الصهيوني والصليبي.

---

(9) د. صلاح الدين المنجد: رسائل إلى شاب متشكك ص**95** . دار الكتاب الجديد – **1971**م .

ل: لا يتصور أن يغفل الدعاة عن واجبهم في هذه الظروف والعناية بإيقاظ العقيدة في نفوس شباب المسلمين لأننا نواجه التحدي باسم الدين أيضًا في إحدى صورتين:

، وعلى سبيل المثال، نقتبس نموذجًا من أقوال بن جوريون، قال: (على إسرائيل أن تتمسك بمبادئ أنبياء العبرانيين القدامى)، (إسرائيل ستحقق وجودها عندما تصبح كسارية على رأس جبل، بالنسبة إلى أمم العالم) ناقلًا هذا القول عن نبيه المضل أشعيا[10].

وبنفس الحماس الديني، مازالت القوى الصليبية تشهر سلاحها في وجه المسلمين في إفريقيا والفلبين وإريتريا وغيرها.

ات) وهي في حقيقتها وجوهرها أديان بغير اسم الأديان (وهي النظم التي يؤمن بها الناس كدين ورسالة، السياسة والنظريات الاقتصادية مثل الوطنية والديمقراطية والاشتراكية والدكتاتورية والشيوعية وهي أقل مسامحة لمن لا يدين بها وأشد قسوة على منافسيها)[11].

وآية ذلك أن أصحاب الأيديولوجيات يضعون نظرياتهم في قوالب تضاهي العقيدة الدينية تمامًا فإنها تتسم بطابع الاعتقاد الإيماني إلى حد اعتبار المعتنق للأيديولوجية بمثلها المقاتل والمدافع عن حقيقتها المطلقة[12] وبكلمة واحدة أنها عقيدة، إذ يصفها أصحابها بصفات الرسالات السماوية ويضعون لها ركائز تتمثل في إرادة التغيير والتوجه للبشر بالخطاب ومن ثم تتطلب الاتباع، كما تدعى تقديم التفسير الشامل للعالم وتطالب أتباعها بالعمل في سبيل حمايتها ورفع راية الكفاح ضد مخالفيها.

---

(10) أبوالحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص**269**.

(11) ياكوب باريون: ما هي الأيديولوجية؟ ص**98** الدار العلمية **91**هـ/**71**م ص**79**.

(12) محمد جلال كشك: النكسة والغزو الفكري ص**127** .

فالأيديولوجية تريد تغيير العالم عن طريق الناس الذين يعتقدون بها وتحتاج إلى مادة بشرية قابلة لمخاطبتها لتوقظ في نفوسهم تلك الطاقات الإيمانية والإرادية التي تحتاجها لبلوغ أهدافها أي اجتماع العقيدة والعمل والهدف معا.

ويدعى أصحاب الأيديولوجية أنهم أصحاب النظرة الشاملة للعالم التي تقدم تفسيرًا شاملًا وجامعًا للعالم، فهي في نظرهم موقف تقييمي من العالم ثم تتحول إلى مقياس الحياة الإنسانية، وتطالب في الوقت نفسه بسريان مفعولها على جميع الناس وكل مجالات حياتهم، والتدخل حتى في التفسيرات العلمية!![13].

كذلك لا تفلت الفلسفة من الاتهام، شأنها في ذلك شأن العلم، لأنها لا تشارك في الإيمان بقابلية العالم الكلية للمعرفة، وأنها تبدي موقفًا أساسيًا يختلف عن موقف كلي من الأيديولوجية والنظرة الشاملة إلى العالم.

وهذه النظرة الشاملة كما تتطلب الاتباع فإنها تنطوي على مطلب ثان بالنسبة لها، وهو الكفاح ضد أعدائها لأنهم في رأيها يحولون دون انتشار الحقيقة وانتصارها بين الناس أجمعين.

إلى هنا يتبين لنا أن الأيديولوجية تضع قوالب دينية وتكاد تقلد الإسلام بصفة خاصة، ولكنها لأنها تصدر عن باطل، فهي تفضح نفسها عندما ترسم طريق دعوتها فلا بأس من تشويه الحقيقة أو تلفيقها متى كان الأمر متعلقًا بوصم نظرة العدو ودفع تصرفاته العملية كما أنهم يغذون خيال أتباعهم بالتصورات الوهمية، عندما يقومون بوصف عالمهم الخاص، لكنهم يقدمون التضحيات ويتحملون الآلام بغية الوصول إلى الهدف المنشود[14].

---

(13) ن.م ص **76**، **77**، **79**، **82**، **105** .

(14) ن.م ص**94** .

ل من كل هذا: أن كل أصحاب الأيديولوجيات يترسمون خطانا، فإننا أولى بإظهار الإسلام كعقيدة، ونظام حياة وتفسير للكون والحياة والإنسان بطريقة تجعلنا في موقف التحدي.

نوعيات المشاكل التي تواجه الشباب في العالم الإسلامي وآثارها على الدعوة

بالرغم من افتقادنا للإحصائيات المبنية على الاستفتاء والبحوث الحقلية الاجتماعية والدراسات اللازمة لتصنيف الشباب والمشاكل التي تواجهه، بالرغم من ذلك النقص في وسائل الدراسة، فإننا سنحاول استبدالها بالتقسيم الجغرافي والظروف التاريخية الواحدة التي مرت بها بلدان العالم الإسلامي، فضلًا عن طبيعة المشاكل العامة التي تواجهه، مع الإقرار بأن لكل بلد لون خاص من المشاكل، إلى جانب التقسيم الأفقي للشباب داخل البلد الواحد.

ث، ومنذ القضاء على الخلافة العثمانية بتدبير اليهود والقوى الصليبية معًا، فأخذوا يقسمون البلاد الإسلامية فيما بين الدول الاستعمارية بموجب اتفاقيات ومعاهدات. ثم نفذت خطة واحدة لإبعاد المسلمين عن الإسلام.

بدأت على يد مصطفى كمال أتاتورك – المنتمي لحركة الاتحاد والترقي[15] - وكان هدفه اجتثاث الإسلام من جذوره، إذ ألغى الخلافة وأعلن أن الدولة أصبحت لا دينية، وفرض الكتابة بالحروف اللاتينية وألغى التعليم الديني وأوجب الأذان باللغة التركية وقراءة القرآن بالتركية أيضًا، وحرم تدريس الدين بالمدارس وأطلق على الإسلام الكتاب يهاجمونه ويهاجمون القرآن، وأبطل تحكيم الشريعة الإسلامية واستبدل بها القوانين الوضعية الأجنبية.

وأصبحت حركة التجديد والتغريب التي قادها كمال أتاتورك (1924-

(15) حركة الاتحاد والترقي باتفاق جميع المراجع المعاصرة حركة وجهها واستغلتها الماسونية والصهيونية وأعداء الدولة العثمانية من الإنجليز والفرنسيين والروس والألمان.
ينظر محمد جلال كشك: حوار في أنقرة ص57 .
أرمسترونج: مصطفى كمال أتاتورك وجواد رفعت: أسرار الماسونية.

1938) فاتحة للتغيرات التي حدثت في العالم الإسلامي كله، فأصبح كل من ينهض فيها للإصلاح والتشكيل الجديد للمجتمع يقتفي آثاره ظنًّا بأن سر النهضة إنما هو التجديد والتغريب، ليس غير، ونظروا إلى كمال أتاتورك كرمز التقدم و(الثورة) في كل مجتمع متحرر في العالم الإسلامي والمثل الأعلى للقادة والسياسيين والمفكرين المسلمين[16].

وسار تيار التجديد – سواء من غرب أوربا أم شرقها – يمضي قدمًا ليحفر الأخاديد في بلدان العالم الإسلامي على يد أبنائه أنفسهم!! أولئك الذين سلبهم الاستعمار الثقافي كل مقومات العزة سلبهم (الثقة بأنفسهم، بحضارتهم، بتراثهم، بنبيهم، بقرآنهم، بربهم عز وجل، وغرس في مكان ذلك كله بالغرب وحضارته وثقافته وأفكاره ونظمه وتقاليده ومثله وقيمه، وكل ما يجيء من عنده)[17].

وفتح جيل الشباب المسلم عينيه على هذا الواقع المرير الذي قدم إليه منذ

---

(16) ينظر كتاب أبو الحسن الندوي: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية – دار الندوة للتوزيع – لبنان **1388**هـ - **1968**م .

حيث عالج تأثير خطوات أتاتورك في البلاد الأخرى مثل مصر والباكستان وإيران وإندونيسيا وتونس والجزائر.

ويتبين من إحصائية حجاج بيت الله الحرام هذا العام **1396**هـ . إن عدد حجاج تركيا بلغ **137291** حاجًا ويمثل أكبر عدد وبفارق كبير بينه وبين العدد الذي يليه ويمثله حجاج نيجيريا ويبلغ **66873** حاجًا.

ويمكن للداعية اتخاذ تركيا كنموذج لمزية الإسلام في صموده وقوته، إذ بعد نحو نصف قرن من الزمان حيث عانت فيه تركيا ما عانت بسبب إبعادها القسري عن الإسلام، ظهرت الحقيقة تتمثل في استمساك الشعب بعقيدته بالرغم من كل ما حدث، وبزغ فجر جديد في شكل حزب السلامة وعمره **4** أعوام الذي احتل المركز الثالث بين أحزاب تركيا (بعد حزب البعث الجمهوري وعمره **53** عامًا).

(17) د. يوسف القرضاوي: حتمية الحل الإسلامي ص**355** . مؤسسة الرسالة **1394**هـ/**1974**م.

نعومة أظفاره، بينما نشأ على الجهل بالإسلام لأنه لا يعرف في كثير من الأحوال – أو أقصاها – إلا بعض العبادات كالصلاة والصوم، والأفكار الدائرة حول تاريخه ورسوله ﷺ، عرفها على دفعات بمنهج التجزئة في المدارس أو الجامعات، أو التقطها من فم عالم أو سمعها من محاضر.

ولذلك نرى أن الشباب في العالم الإسلامي يخضع لعوامل متشابهة من حيث استهدافه خارجيًّا للحملات المتواصلة لتفريغ عقله وقلبه من المضمون الإسلامي وحشوه بألوان أخرى من المذاهب والأفكار، داخليًّا من حيث معيشته في مجتمعات لا تحيا وفقًا لتشريع الإسلام ونظمه وأخلاقياته.

والحق أننا لجأنا إلى هذا التحليل بحثًا عن جذور المشاكل ونشأتها، أما علاجها فيتم في محيط الحياة والواقع، إذ أن الداعية عندما يقوم بمهمته سيجد أمامه آثار هذه الظروف بأنواعها الخارجية والداخلية مجسدة في نفوس الشباب، أي ستصبح أخيرًا بمثابة وجهين لعملة واحدة.

:

- فئة من الشباب الحريص على الاستمساك بالإسلام ويحتاج إلى تعميق مفاهيمه للصمود في وجه الغزو الثقافي الخارجي بخططه وأساليبه المتجددة الماكرة.

- كما يحتاج أيضًا إلى تزويده بالمعلومات التي تتيح له فهم ظروف ضعف بلاده وتأخرها والسبل الكفيلة بإخراجها من محنها.

- كل ذلك ضروري لشد أزره حتى لا تميل به هواجس القلق عندما يقارن بين مثل عليا يريد تحقيقها وواقع مؤلم يعيش فيه.

- وفي الطرف المقابل تقبع فئة من الشباب الذي اضطربت موازين فكره وألحت عليه الشكوك وهو في الغالب ممن تلقى دراساته العليا خارج وطنه، إذ يلاحظ ما أحرزته بعض الأمم من تقدم في العلم والاختراع والتكنولوجيا، وما حققته من بسطة في القوة والسلطان برغم عدم عنايتها بالدين، وتوجيهها

الشباب توجيهًا ماديًّا خالصًا[18] ويقدم لنا ماسينيون خطة الغرب إزاء شبابنا في كلمة موجزة قال فيها (إن الطلاب الشرقيين الذين يأتون إلى فرنسا يجب أن يلونوا بالمدنية المسيحية)[19].

وبين هاتين الفئتين يكثر عدد شبابنا الذي يأخذ الإسلام بالتبعية للوالدين وتقليدًا لما يراه في المجتمع، فيعتنق الإسلام دينًا ولكنه لا يعرف فرائضه وواجباته ولا يؤديها كما ينبغي.

- ويجب أن نأخذ في الحسبان أيضًا شباب المسلمين الذي يعيش كالأسير في مجتمعات غير إسلامية، والبعض منهم يرفع راية الجهاد، كالشباب في فلسطين وإريتريا والفلبين ومناطق أخرى في الاتحاد السوفيتي وغيره من البلدان، وهم لا يطالبون إلا بحق الحياة الكريمة شأنهم في ذلك شأن باقي المواطنين.

- ونقترح إنشاء (مركز دائم يعني بالأقليات المسلمة) مع مد يد العون المادي لهم وإرسال الدعاة لتعليمهم الإسلام واللغة العربية وإرشادهم إلى أمور دينهم للمحافظة عليهم من الانقراض أو الضياع وسط المجتمعات التي يعيشون فيها، أما المسلمون تحت سيطرة الدول الشيوعية فلا أقل من توجيه إذاعات خاصة لهم تعلمهم دينهم وتشد أزرهم مادام الاتصال بهم متعذرًا، ولكن لا تعدم الحكومات وسائل الضغط الاقتصادي والسياسي لتوفير الحرية الدينية لهم[20].

---

(18) أنور الجندي: يقظة الفكر العربي – حركة اليقظة في مواجهة التغريب (مرحلة ما بين الحربين) مطبعة زهران – مصر **1972**.

(19) كما ورد في التقرير الذي قدمه الدكتور محمد خلف الله أحمد إلى مؤتمر علماء المسلمين – مارس **1970** – مجلة الهلال فبراير **1973**م ص**127** .

(20) ينظر كتاب الأستاذ محمود شاكر: المسلمون تحت السيطرة الشيوعية. مؤسسة الرسالة بيروت **95**هـ/**75**م.

ل المثال) نشرت مجلة الدعوة بالرياض في عددها رقم 553 الصادر في جمادى الثاني 1396هـ. استغاثة مسلمي بلغاريا على لسان اتحاد الطلبة المسلمين في شرق أوروبا، للمطالبة بتكوين لجنة دولية للنظر فيما يجري من امتهان لحقوق الإنسان هناك (ص34، 35).

■ **الشابات:**

وربما كان أزمات المرأة في البلاد الإسلامية أشد وأعتى، ونظرًا لدورها الكبير في تربية الأجيال، فقد نفذت الخطط التبشيرية عن طريق المدارس والإرساليات الأجنبية فاهتمت بالفتاة المسلمة تعليمًا وتوجيهًا، ثم اجتذابًا بواسطة أجهزة النشر والإعلام لتقليد شابات الغرب في الأفكار والعادات والأزياء، تحت دعوى التحرر وقضية المساواة بين الرجل والمرأة.

وظهر التشتت في نفسية الشابة المسلمة الحريصة على دينها بين عقيدتها وظروف الحياة الطارئة على مجتمعاتنا في الاختلاط ومغادرة المنزل للمشاركة في العمل والتوزع بين مشاغل بيتها وواجبات الأمومة للمتزوجات – وبين مشاكل العمل ومسئولياته، فضلًا عن حيرتها في مواجهة تيار التغريب القوي الذي سحب شابات كثيرات بمده الطاغي.

ولا أظن أنه يمكن إضافة للأبحاث المستفيضة التي ساهم فيها جهابذة الرعيل الأول في الفكر الإسلامي المعاصر من حيث الشبهات حول قضية المرأة[21].

وبقى على المهتمين بالدعوة مساعدة أخواتنا للقيام في وجه الفتنة، عن طريق تنظيم أنفسهن، وتشجيعهن على الاستمساك بالفضيلة والحشمة والصلاح والتقوى، ومساندتهن – بواسطة دورات تعليمية إسلامية خاصة لهن

---

(21) أمثال الأساتذة المودودي - العقاد – سيد ومحمد قطب، أنور الجندي وغيرهم .

– على تكييف حياتهن الشخصية والعائلية والاجتماعية وفق تعاليم الإسلام، ومدهن بالثقافة اللازمة التي تمكنهن من مقارعة السيدات المتفرنجات[22].

وليس هذا التقسيم جامعًا مانعًا بطبيعة الحال ولكنه مجرد اجتهاد حاولنا به تحديد المشاكل وتبويبها إذ لاشك في تداخل حلقاته، ولكنه يساعد الداعية على وضع يده على جذور المشاكل ومعرفة طبيعتها.

ل المثال، فإن هناك تقسيم رأسي بين الشباب على أساس أنصبته من العلم والثقافة فهناك من حصل على نصيبه في التعليم حتى نهاية المرحلة الجامعية، أو من اكتفى – كرهًا أو طواعية – بالتعليم الإعدادي أو الثانوي ثم سلك سبيل الحياة العملية باحثًا عن قوته وإعالة أسرته.

بيد أن هذا التصنيف يساعدنا على معرفة طبيعة المشاكل التي يعاني منها الشباب، فقد يتعرض الشباب الجامعي لمشاكل وأزمات بصورة مغايرة لما يعاني منها الآخرون.

كذلك قد يعاني الجميع – بلا تفرقة بين المثقفين وغيرهم – من مشاكل تعمهم، كاصطدامهم بمظاهر التأخر في المجتمع، وتعرضهم لأزمات خانقة كالمغالاة في المهور والتشدد في أمور الزواج، وتعرض الشباب للفتن المقدمة له في أشكال مختلفة كالأدب المكشوف وأفلام الجنس والجريمة.

وسنبدأ بعرض هذه المشاكل فيما يلي وهي تتمثل في:

أولاً: المشاكل الداخلية:

ل الشباب:

قلنا أن الشباب المثقف يتعرض لمشاكل وأزمات مغايرة لما يشكو منه غيره، وتعليل ذلك أنه يتعرض من خلال مناهج التعليم لحملة تغريبية منظمة سواء في العلوم الإنسانية أو العلوم العملية التجريبية، مما أثر في التكوين

(22) المودودي: تذكر دعاة الإسلام ص**101** وما بعدها. المكتب الإسلامي **1395**هـ .

النفسي والأخلاقي للشباب المسلم، إذ طرأت تغييرات مقصودة للانحراف به عن التصدرات الإسلامية الصحيحة.

والأدلة كثيرة في هذا الصدد نكتفي منها بالدور الذي أداه دنلوب في مصر، هذا الكاهن الذي (خلع عنه ثوب الكهنوت ودخل في خدمة الحكومة يدير مدارسها في خلال ربع قرن فكان يناهض القرآن مناهضة سرية متواصلة)[23].

ففي المدارس الابتدائية يكتفي بدروس دينية لا تحتل من البرنامج الدراسي إلا ساعات محدودة لا تؤثر إلا في حالات ضئيلة، ويكون تأثيرها غالبًا بفضل النماذج القليلة المخلصة من المدرسين.

ثم تأتي المرحلة الثانوية التي يفصل فيها أيضًا بين الدين والحياة ومناهج الدراسة، وربما تبتعد الشقة عنهما بالمقارنة بالمرحلة الابتدائية، فضلًا عن ظهور عامل جديد، إذ عندما يشب الطلاب عن طوق الطفولة والصبا، تتفتح آفاقهم عن أسئلة جديدة ملحة تتطلب إجابات حاسمة، ويبدأون في الخضوع لتأثير الأفكار والتيارات السائدة في المجتمع. أما الشباب الذي يتلقى تعليمه بالمدارس الأجنبية، فمشكلته أضخم، لأنهم ضحايا الغزو التبشيري الذي يستخدم هذه المدارس كأدوات طيعة لتنفيذ مخططاته.

وتتلقف الجامعات بعد ذلك بعض هؤلاء الطلاب، بكلياتها المختلفة، وهي تنقسم إلى كليات عملية وأخرى نظرية كما يسمونها، ففي الأولى تختفي فيها الدراسات الإسلامية، بل تتسم طابع دراساتها بطابع النظريات والفلسفات المادية في أغلبها، والتي تسربت إليها بسبب النقل من علماء الغرب. ويتحول الإسلام في الكليات النظرية – كالآداب والتربية والتجارة والحقوق – إلى فلسفة ونظريات ودراسة تاريخ الفرق والانشقاقات التي انتهى عصرها وزالت بزوال عوامل قيامها، ومن ثم تصبح الدراسة وفقًا لهذه المناهج أشد ضررًا من

---

(23) أوجين يونغ: الإسلام وآسيا أمام المطامع الأوروبية ص**157** .

عدمها، إذ أنها – في كليات الآداب مثلًا، تهز كيان الطالب وتشككه وتدفعه إلى كثير من التساؤلات فلا يجد إلا إجابات المستشرقين، ومن ثم تجتاح نفسه أعاصير الحيرة والاضطراب، وتنفذ إليها وجهات النظر الغربية فيعتنقها ويتقبلها.

وفي كليات الحقوق، تدرس الشريعة الإسلامية كمادة منفصلة ضمن القوانين المدنية والتجارية والجنائية المستمدة من التشريعات الوضعية والمنقولة من القوانين الأجنبية.

وفي كليات التجارة تحتل النظريات الاقتصادية والسياسية المكانة الأولى ولا يلتفت إلى دراسة الاقتصاد الإسلامي.

ل، أن نظم التعليم المستوردة والمنقولة بحذافيرها من جامعات الخارج قد أدخلت في أفكار الشباب وعقولهم الكثير مما يحتاجون إلى من يصححها لهم ويقومها في نفوسهم لأنها فصلت بينهم وبين الإسلام.

وقد أثمرت خطط التعليم ونجحت في تجريد الشباب (من الروح الديني والعواطف الإسلامية والعقلية الإسلامية وأنشأت فيه طبيعة النفعية والتهام الحياة وتقديس المادة وعدم الاستقامة الخلقية وضعف الثقة بالنفس والشك في الدين)[24].

ولا تحتمل طبيعة الشباب قبول الطعن والنقد فقط فيما تلقاه وتعلمه، بل لابد من إحلال البديل محله، وتشكل هذه المهمة أثقل التبعات على عاتق الداعية.

ولكن مما يسهل مهمته معرفة الرابطة الوثيقة بين الأسس الفلسفية المشتركة للثقافة الغربية وبين جميع العلوم النظرية الإنسانية التي انبثقت منها جميع الأنظمة الاجتماعية من أسرية واقتصادية وسياسية وغيرها، فإذا قوض الدعامة الأساسية بالشرح والتحليل، انقض البناء وتهاوى، وهي ليست في

(24) روائع إقبال لأبي الحسن الندوي ص**108** . دار القلم – الكويت **1388**هـ/**1968**م.

حقيقتها سوى المفاهيم والمذاهب التي حرفت مفهوم الرسالة السماوية وجاء القرآن ليصححها، كل ما هنالك أنها استطاعت في العصر الحاضر أن تلبس لباس العلم والفلسفة، وأن تقيم باطلها على أساليب براقة خادعة في عالم اضطربت مقاييسه ونظمه[1] على أن هناك مسئولية أخرى يتحملها رجال التربية التربية والتعليم وأساتذة الجامعات لوضع المناهج المنبثقة من عقيدتنا وتراثنا وقيمنا، لتأصيل شخصيتنا الإسلامية، وتعويض ما فاتنا بسبب المناهج المستوردة.

:

يطول بنا الحديث باستقصاء عوامل الضعف والتخلف التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية ولكن إيجازها في نقاط رئيسية ضروري لتحليل أحد المظاهر التي تشكل عبئًا على كواهل الشباب، إذ تتفتح آماله المستقبلة على رؤية أمته في مقدمة الصفوف، وينظر حوله فيرى الواقع مثبطًا للهمم!!

فكم من شاب غض مليء بالحماس والحيوية، أقدم على عمل مثمر فاصطدم بالفتور أو سوء المعاملة أو المفاسد الاجتماعية، فأقعده ذلك عن إعادة الكرة؟!

وحتى لا يتكرر مثل هذا النموذج، فإن معرفة الأسباب وتحليلها عن طريق الإقناع بهدوء، قد يكفل امتصاص الصدمة بين آمال الشباب المسلم، وواقع مجتمعاته المؤلم.

ولا تخرج الأبحاث الدائرة حول عوامل الضعف والتخلف في المجتمعات الإسلامية عن اتجاهين:

ل: التعليل بالأسباب الذاتية للمسلمين أنفسهم مثل ضعف العقيدة وخور العزيمة، وسوء الفهم لمسألة القضاء والقدر الذي أدى إلى جبرية محضة،

---

(1) أنور الجندي: مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام ص**16** .

والانصراف عن العلوم العصرية المؤدية إلى التمدين والحياة الكريمة، وفساد الأخلاق وتدليس العلماء وجور الحكام.

كل هذا أو بعضه أدى إلى انهيار الأمة في العصر الحديث عندما صدمتها الحضارة الغربية، في عهدها الاستعماري، وليس من سنة الله (أن تقتل أمة امتلأت إرادتها بأن تحيى، فالمسلمون مسئولون بالدرجة الأولى عما آلوا إليه)[1].

: إلقاء التبعة على الاستعمار الخارجي والحروب المتوالية التي لم تترك الأمة تهدأ فترة لتلتقط أنفاسها، بل أخذت تكر وتفر منذ الحروب الصليبية حتى العصر الحديث، فقد كانت دولة الإسلام بكيانها البشري الهائل وحدودها الجغرافية الشاسعة المشتركة بين آسيا وأفريقيا وأوربا – هذه الدولة كانت أمرًا واقعًا يؤثر في العالم كله، ولم يسقط هذا البناء الضخم إلا بعد حروب وفتن متواصلة ظلت قرونًا، فظل يتقلص إلى أن تفكك بإلغاء الخلافة منذ حوالي نصف قرن فقط.

ولولا هذه الحروب والحملات الضارية التي استنفدت قوى الأمة الإسلامية وشتت جهودها وأضعفت كيانها، لولا هذه العوامل الخارجية التي لا سلطان لدول الإسلام عليها، لما وقعت في براثن التخلف.

ويبدأ العلاج بقيام الدعاة بتوجيه الأنظار إلى أن أسباب التخلف الحالية ليست بنت الساعة، ولكنها تولدت من توالي المحن وتراكم الخطوب بعضها فوق بعض.

وإذا كان من غير المتصور أن يشفى المريض بجرعة دواء واحدة، كذلك لا يتصور علاج الأمم بإجراء واحد خاطف، لاسيما أن أعمار الأمم لا تقاس بالسنين والشهور، ولذا فإن حل الأزمات الحالية يحتاج إلى مثابرة وجهود

---

(1) أنور الجندي: يقظة الفكر ص325 .

متواصلة جيلًا بعد جيل، فالمهم أن نبدأ البداية الصحيحة ولنا مقوماتنا الذاتية، فإن أصولنا التي يعبر عنها القرآن والسنة ثابتة لم تمسها يد التبديل والتحريف بواسطة البشر كما حدث لغيرنا من الأمم، ولكننا نحن الذين تغيرنا.

ويقع على عاتقنا إقناع الشباب المسلم أن التغيير الشامل أمر ممكن، ولكن يبدأ بخطوة تتلوها خطوات على نفس الطريق، فلنبدأ بأنفسنا وبمن حولنا، نتسلح بالعقيدة الصحيحة ونغير ما بأنفسنا إلى الأحسن بالعلم والعمل، كليهما، وعندئذ يغير الله تعالى أحوالنا، فإن (تحقق التغيير الذي يقوم به القوم – في الآية الكريمة – سيتم على أساس وعد الله تعالى الذي لا يخلف الميعاد وسنته التي لن تجد لها تحويلًا)[1].

فليبذل كل شاب مسلم – كل في مجاله – غاية جهده مخلصًا، مستعينًا بالله سبحانه، لا بغرض التميز واحتلال الصفوف الأولى لكي يشار إليه بالبنان، ولكن لكي يصبح نموذجًا وقدوة لغيره من الشباب، فيصبح كالعنصر المشع يجذب من حوله بتفوقه ونجاحه، فكثيرًا ما يصدر الناس حكمهم على الأفكار والعقائد من خلال أصحابها.

ويقتضي التغيير إعادة النظر في أسلوب حياتنا وطرق معيشتنا لنعدلها تدريجيًّا حتى تستوي قائمة مع قواعد الإسلام، والتعديل أمر ممكن ويسهل تحقيقه إذا حددنا الهدف من الحياة الدنيا اتجاهًا إلى خالقها عز وجل، عبادة وعملًا، في النية والسلوك، ومعرفة المهمة التي نيطت بهذه الأمة كحاملة رسالة هداية للإنسانية كلها، ولاشك أن الالتزام بالإسلام بواسطة القاعدة العريضة من الشباب سيسهم في تهيئة الأذهان للشعوب الإسلامية والحكومات – كليهما – ويمثل عنصرًا ضاغطًا على المحجمين والمترددين، بعد افتضاح الجاهلية بشتى نظمها ومذاهبها.

---

(1) جودت سعيد: حتى يغيروا ما بأنفسهم ص**69**. (بحث في سنن تغيير النفس والمجتمع) ط**1395**هـ - **1975**م .

عها:

يحلو للبعض وصف العصر الحديث بأنه عصر العلم والتكنولوجيا، فيقتصرون على المظهر دون المخبر، ولو عنينا بالمخبر لوصفناه أيضًا بأنه عصر الفسق والانحلال، ويؤيدنا في ذلك منطق الاستقراء حيث تجمعت الأدلة على شيوع الفحشاء والمنكر في المجتمعات الخارجية – شرقية وغربية – ولم تقتصر على عامة الناس بل وصلت إلى رؤساء الدول والحكومات، وأصبح العالم منذ سنوات غارقًا في موجات الجنس (بل أضحت ممارسته والإغراق فيه غاية الحياة وقمة الأمنيات لدى كثير من الناس)[1].

وانتقلت العدوى إلى العالم الإسلامي – وإن لم يبلغ بعد مرحلة التردي التي بلغها غيره من دول العالم – فرأينا بعض أصحاب الأقلام يتنافسون في إصدار كتب الجنس وإغراء الشباب باسم الأدب والفن، وعمت البلوى بالصور العارية بالصحف والمجلات، وانتشر الغناء بما يحمله من ألفاظ فاحشة مكشوفة تهتك أستار الحياء وتدعو إلى الإثم، وتجتمع هذه الفواحش كلها في أفلام السينما التي تحطم معنويات الشباب بدعوتها الصريحة للعنف والجريمة والجنس، وتكاد تحذو حذوها أو تنافسها أجهزة الإذاعة المرئية (التليفزيون)، حتى عمت البلوى وزادت الشكوى مما يعانيه الناس – لاسيما الشباب – من هذه الأخطار.

وارتفعت الأصوات المخلصة منذرة ومحذرة، وحسبنا في هذا الصدد الإشارة إلى بعض التحذيرات الصادرة من المجتمعات التي تفشى فيها هذا الداء الوبيل، فها هو كنيدي يصرح عام **1972**م بأن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها

---

(1) فتحي يكن: الإسلام والجنس ص**10** ط مؤسسة الرسالة **93**هـ - **92**م .

أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية)[1].

ويلفت المؤرخ أرنولد توينبي النظر إلى أن سيطرة الجنس يمكن أن تؤدي إلى تدهور الحضارات[2].

شباب العالم؟

ما من شك أن هناك واجبات تقع على عاتق المسئولين في الدول الإسلامية لحل مشاكل الشباب التي تنفذ إليه من أبواب الفتن، وعليهم تنقية وسائل النشر من صحافة وإذاعة وتليفزيون من الصورة العارية والأغنية المتهتكة والإثارات الجنسية الصارخة مع الاقتصار على إذاعة ونشر ما يفيد من برامج تثقيفية ولا بأس من الترفيه في حدود الآداب الإسلامية والمحافظة على كيان الأسرة والمجتمع، وأن واقعنا وتاريخنا مليء بالمواد الملهمة لأعمال أدبية وفنية ذات أهداف بناءة.

وإلى أن يتم ذلك كله فليس أمامنا من حديث نوجهه إلى الجيل الجديد، إلا تنفيذ توصيات الرسول ﷺ في أن يغتنم الشباب شبابه فيما ينفعه وينفع أمته، في إطار من تقوى الله تعالى ائتمارًا وازدجارًا فيصرف وقته في العمل وطلب العلم: فسواء كانوا من طلاب العلم أو العاملين في الوظائف أو الأعمال التجارية، فإن لكلا الفئتين وقت فراغ، فعليهم بتكوين الجمعيات الثقافية والرياضية الهادفة، وليكن من أغراضها المساهمة في تعليم الأميين والتطوع في أعمال الخدمات العامة، والاستزادة من الدراسة في بعض العلوم والعكوف على القراءة المنتظمة، وغير ذلك من ميادين النشاط التي تمتص طاقات الشباب فيما يعود عليه بالنفع[3].

ويوصي الرسول ﷺ الشبان بالزواج وفي حالة تعذره أو تعسره عليهم

---

(1) فتحي يكن: الإسلام والجنس ص**15**.

(2) (نفس المصدر = ن.م) ص**10**، **49** .

(3) أحمد محمد جمال: من أجل الشباب ص**60** .

بالصوم ليخفف عنهم إلحاح العاطفة ويلطف فيهم فورة الشبيبة[1].

وينبغي في هذا الصدد أن يتكاتف أولو الأمر لإيجاد حلول لمشكلات الزواج للتيسير على الشباب وهي مشكلات ناجمة عن تقاليد وعادات تخالف روح الإسلام وتعاليمه السمحة وتسهم في دفع الشباب لسلوك السبل المعوجة[2].

ولا مناص من توجيه الشباب للابتعاد عن كل ما يثيره من الكتب أو المجلات أو الاستماع للأغاني أو مشاهدة الإذاعة المرئية ودور العرض السينمائي، وكفاه ما يعانيه من دواعي الفتن في المجتمعات.

ن:

حفلت المجتمعات الإسلامية بمظاهر البدع الطارئة على عقيدة الإسلام، وأصبحت من الحجب التي تمنع رؤية الشباب للإسلام كما ورد في الكتاب والسنة، إذ يلتبس على الشباب التفرقة بين ما يراه فاشيًا في مجتمعاته، وبين الحقيقة الأصلية للخافية عليه، فإنه يرقب الموالد وما يدور فيها من منكرات باسم الدين، ويلحظ أغلب الناس يلجأون إلى المقابر والأضرحة للاستغاثة وطلب العون وقضاء الحاجات، يلحظ كل هذا ويستنكره، وتستبد به الحيرة عندما يرى بعض العلماء لا يحركون ساكنًا إزاء الانحرافات والبدع بل يؤيدونها ويشاركون فيها مدافعين عنها.

وتقف هذه المظاهر سدًّا حائلًا بين الشباب ومعرفة الإسلام، كما تصد المثقفين منهم خاصة عن الإقبال على الإسلام ظنًّا منهم أن ما اعتادوا رؤيته في بيئاتهم يتصل بكيان الإسلام العقدي والأخلاقي.

ولا يتنبه الكثيرون إلى أن كل هذه الانحرافات لا صلة لها بالإسلام، بل

---

(1) ن . م ص**48** .

(2) ينظر قرارات مجلس المنظمات والجمعيات الإسلامية في الأردن لحل مشكلات الزواج (نشرت بمجلة البلاغ الكويتية العدد **377** ذو القعدة **96**هـ - **76**م ص**60**، **61** .

جاء الإسلام لإبطالها لما تتضمنه من عقائد الشرك والوثنية، وقد أدت بجماهير المسلمين إلى التشبه بالنصارى.

ويرى عالم نصراني معاصر (ونحن نستشهد به بحكم معرفته بأحوال قومه أيضًا) أن الإسلام علقت به من الخرافات أكثر مما علق بأدنى أشكال العبادة في المذاهب الكاثوليكية والبيزنطية، على أن هذا لا صلة له بالإسلام نفسه (ولكنه راجع إلى حقيقة هي أن أفراد الطبقات الدنيا من عوام المسلمين هم نسبيًّا أكثر عددًا وأشد تأخرًا وأقل تثقيفًا من جماهير العامة في إيطاليا وإسبانيا مثلًا)[1].

: أي الإسلام في مصدريه: القرآن الحكيم والسنة، وبين ما تقع عليه أعينهم من أنواع السلوك والتصرفات المنافية لعقيدة التوحيد؟

وربما تزداد الشقة بين الشباب إذا ما حاول تطبيق ما تعلمه من الإسلام عقيدة وعبادة، أو أعلن اعتراضه على المخالفات التي تفشو بين الناس، عندئذ يقابل بنقد من بعض رجال العلم الديني. بحجة عدم التخصص في علوم الإسلام أو صغر السن أو غير ذلك من حجج غير مقبولة، لاسيما أن كثيرًا من الدعاة مازالوا يستمدون معارفهم من المصادر والمؤلفات في عصور المسلمين الأخيرة وهي المتسمة بالجمود والتعصب للمذاهب، ومن ثم يعجزون عن مخاطبة الشباب باللغة التي يفهمها، بعد أن تفتحت عقولهم عن معارف جديدة، وأقبلوا على تلقي الإسلام بفطرتهم بلا انحياز سابق لفرقة أو الانتماء لمذهب.

وليس على الدعاة إلا توجيه شباب المسلمين إلى الاتجاه السلفي النابع من الكتاب والسنة والذي صار على هديه الصحابة والتابعون ومن تبعهم، وتجدد

---

(1) د. جورج سارطون: الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط ص34 منشورات مكتبة المعارف بيروت 72/92هـ .

ظهوره في العصر الحديث على يد محمد بن عبدالوهاب في الجزيرة العربية، ثم أخذ يشتد وينتشر في باقي أنحاء العالم الإسلامي مع تسلح أصحابه بأدوات جديدة لشرح الإسلام ومواجهة ما طرأ على العالم من تغييرات، ومقابلة أسلحة الهجوم العدائية بما يفلها ويبطل مفعولها، مع طرح فلول البدع كلها جانبًا، سواء في العقيدة أو العبادات، أو السلوك.

افات بين المسلمين أنفسهم:

ونحن هنا أمام سبب آخر يبعث على البلبلة ويورث الحيرة أيضًا في صفوف الأجيال وتطاحنًا في داخل صفوف المسلمين أنفسهم، وربما كانت الاختلافات المذهبية الفقهية هي أخفها وطأة، إذا تمكن الدعاة من شرح أسبابها ونشأتها، وأنها بسبب اختلاف العلماء في الأحكام تبعًا لاحتمال معاني كثير من النصوص الشرعية واختلاف العقول في فهمها.

ولكن ينبغي التمييز بين اختلاف الفقهاء في العصور الأولى بما أداه إليه اجتهاداتهم، وبين أقوال المتأخرين في عصور الابتداع والتقليد.

ومع هذا فإن هذه المشكلة تعد أهون شأنًا من مظاهر التنابذ والتطاحن الأخرى بين المسلمين في البلد الواحد فتجد (صراعًا بين المذهبيين واللامذهبيين، وفي بلد ثان حربًا بين السلفيين والصوفية، وفي بلد آخر جدلًا بين الحنفيين وأهل الحديث.. إلى غير ذلك من الفرق والجماعات في حين أن اللادينيين يحاربونهم جميعًا، وإن تفاوت درجة الحرب طبعًا)[1].

ولا يعصمنا من كل هذا إلا العض بالنواجذ من جديد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مع الاسترشاد بفهم السلف للأصول والفروع جميعًا.

:

تكاتف العوامل الخارجية مع ما رأيناه من أسباب داخلية للوصول بنا إلى

---

(1) د. يوسف القرضاوي: حتمية الحل الإسلامي ص**356** .

ما نحن عليه الآن. وربما يوصف عصرنا الحاضر أحيانًا بأنه صراع (الأيديولوجيات) لأن مذاهب الفكر الإنساني – وتؤيدها القوى العسكرية – تتصارع وتحاول كل منها أن تثبت جدارتها فيما تدعيه من تحقيق حياة أفضل للبشرية، ولكن الحقيقة أنها تخفي الرغبة في السيطرة والتغلب على غيرها.

ومن جهة الإسلام، فقد أثبت القرآن الكريم هذا (التدافع) كسنة من سنن حياة المجتمعات البشرية في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:**40**].

وفي قوله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:**251**].

كما حذرنا الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة من عداء اليهود والنصارى ومحاولاتهم الدائبة لإخراجنا عن ملتنا وإغرائنا بمتابعتهم، مثل: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:**105**].

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:**120**].

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:**135**].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:**100**]. **وآيات أخرى أيضًا.**

فلن يدهشنا إذًا هذا الصراع واستمراره، ولكننا مطالبون بالتأهب واليقظة وأخذ العدة ما دمنا معرضون دائمًا للخطر الذي قد يصل إلى الرغبة في إبادتنا

وإزالتنا.

والكلمة الأخيرة استخدمها أحد جنود الغرب الاستعماري، إذ ما يسترعي الانتباه بعمق في تقارير لورانس السرية إلى المخابرات البريطانية، تأكيده الهستيري المحموم والمخطط بإجرام ودهاء على ضرورة إزالة ما يسميه (خطر الإسلام)[1].

نحن لا نأمل إذًا، والدعاة إلى الله كذلك، في توقف الصراع بين الأصيل والدخيل لأنه سنة من سنن الله العليم الحكيم، يضرب فيها الحق والباطل: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرعد:17].

بل على العكس، نريد أن يظل التمييز واضحًا بين الاتجاه الإسلامي المحافظ والتيارات الوافدة من الخارج – شرقية وغربية – كي يظل حيًّا في نفوس الأجيال الصاعدة والتالية وهي أمانة تلقاها جيلنا عمن قبله[2].

ومن أهم واجبات الدعاة المعاونة على نقل هذه الأمانة بعد المحافظة عليها وسط هذا الهجوم الذي أخذ شكل جديد.

وقد أصبح عنوان (الغزو الثقافي)[3] اصطلاحًا يطلق على الأساليب التي

---

(1) زهدي الفاتح: لورانس العرب، على خطى هرتزل (تقارير لورانس السرية) دار النفائس – بيروت 1390هـ - 1971م.

(2) د. محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية ص118 .

(3) الأساليب التي استخدمتها الحضارة الأوروبية بشقيها الرأسمالي والشيوعي – بالتعاون مع اليهود، لتبديل وتغيير المبادئ والقيم الثقافية والفكرية والاجتماعية والأخلاقية للمجتمعات الإسلامية.

ويحددها الأستاذ الدكتور محمد رشاد سالم في الوسائل الآتية:

1- التنصير أو التبشير. =

= 2- إشاعة فكرة القومية.

3- محاربة اللغة العربية.

4- تغيير نظم التعليم.

اتبعها العالم الأوروبي – بشقيه الشرقي والغربي – بهدف مسخ الشخصية الإسلامية من الداخل، وتشويه العقيدة، وإبعاد المسلمين عن الإسلام وصبغ حياتهم فرادى وجماعات بالصبغة الأجنبية أيًّا كان لونها، ومن ثم يسهل القضاء على الذاتية المميزة لشخصية المسلم، دون حاجة إلى جيوش عسكرية مدججة بالسلاح فهناك جيوش أخرى تظهر في ثوب الحمل الوديع، لجأ إليها الاستعمار لاستخدامها دون أن يظهر بمظهر الغازي الفاتح، أو المعتدي المغتصب ونعني بذلك جماعات المستشرقين والمبشرين ودعاة التجديد والتغريب ومن سار على مناهجهم، فقد خططوا ونفذوا أساليب الغزو الثقافي بدقة وبراعة وها نحن نجني ثمارها المُرَّة.

ولكن، من دواعي اطمئنان الداعية أنه سيعثر على أعمال علمية كثيرة في الفكر الإسلامي المعاصر عالجت موضوع الغزو الثقافي وكشفت النقاب عن طرقه وأهدافه، وتعد في مجموعها سندًا له في تشخيص بعض أمراض المسلمين في وقتنا الحاضر.

وعليه بعد ذلك أن يستمر في الخطوة التالية، أي دراسة أثر حملات الغزو في نفوس الأجيال الجديدة التي استيقظت على واقعها المرير بأبعاده كلها: الهزائم العسكرية، التأخر الحضاري، ضعف الهمم وانتكاس الأخلاق.

؟

5- استخدام وسائل الإعلام من صحافة وغيرها.

6- الحرب العلمية والفكرية عن طريق المستشرقين وغيرهم.

7- إفساد الأخلاق وتغيير الحياة الاجتماعية.

8- تبديل القوانين والتشريعات.

ص21، 22 د. رشاد سالم: المدخل إلى الثقافة الإسلامية، دار القلم، الكويت وينظر أيضًا كتاب الأستاذ محمد محمود الصواف: المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام 1384هـ – ط. مكة المكرمة 1965م.

إننا نرى إرشاد الشباب إلى الموضوعات التي ينبغي تثقيفه بها، ويتعين عليه تحصين نفسه بالتسلح بمعرفتها – سواء الاستزادة من المعرفة الشخصية في الإسلام للتفقه في الدين وإرشاد الناس وتوعيتهم أو لمواجهة حملات الإلحاد والتشكيك التي تغزوه في عقر داره من خلال الكتب والصحف والمجلات والإذاعات المسموعة والمرئية، فإن غاية ما تهدف إليه الأبواق المعادية أن تهز ثقة الشباب المسلم بنفسه وتحطم معنوياته فيسهل عليها إضعاف إيمانه أي أغلى ما يملكه الشباب، وهو الأمل المرتجى لهذه الأمة، فإذا أفلت من مكائد الخصوم وحيلهم، فإن انتصارنا بمشيئة الله مؤكد. فإن علاج الحيرة والتشتت يتم بالمعرفة الصحيحة، وفتح باب الأمل يتم باستثارة في النفس، ونور الحق يبدد ظلام الشك والإلحاد.

وتشكل هذه السبل علاجًا لآثار الغزو الثقافي تبدأ بتوضيح الإسلام كعقيدة ونظام إلهي بأسلوب جديد يضاهي الأساليب المعاصرة ويخاطب عقول الشباب بالأدلة ليثبت تفوق الإسلام على سائر الفلسفات والأنظمة البشرية لاسيما في تفسير عالم الغيب وتقديم الإجابة عن الأسئلة التي تثار دائمًا في الأذهان عن خلق الإنسان والحكمة من خلقه ووجوده، لتحصين الشباب بدروع الاعتقاد والمعرفة الإسلامية الراسخة، وإلا فإنه قد يخضع لبعض المذاهب والاتجاهات الفلسفية والأعمال الأدبية الوافدة من الخارج وتحمل في طياتها بذور الاستهتار بالقيم والمبادئ، ويخشى على الشباب المسلم من إيحاءاتها الضارة[4].

:

ويتضح ذلك بأدنى نظر إذا استخدمنا المنهج المقارن بين الإسلام كعقيدة وتشريع إلهي، وبين النظريات السائدة على وجه الأرض اليوم فمنها المادية

---

(4) من تقرير الدكتور محمد خلف الله أحمد إلى مؤتمر المسلمين في مارس **1970** وهو يعدد أسباب الانحراف الفكري عند الشباب.

التي تنظر للعالم نظرة مادية وتضع الإنسان في قائمة الحيوان والأحجار. وبغير التوسع في شجب الأصل الفلسفي للمادية إذ يكفي لبيان تهافتها فشل أشهر روادها في العصر الحديث – وهو كارل ماركس – الذي ربط تفكيره الفلسفي بأوضاع القرن التاسع عشر الاقتصادية والاجتماعية، ولهذا فقد أخفقت النظرية في أن تتجاوز هذه الأوضاع، وعجزت عن علاج مشاكل القرن العشرين[5].

وإذا نظرنا إلى الوجه الآخر للحضارة العصرية في غرب أوروبا وأمريكا لاحظنا مع غيرنا أنه كلما زاد الرخاء المادي وبدا العلم متقدمًا محققًا المعجزات في دولة، زاد فيها عدد الجرائم وعلى سبيل المثال ففي إحصائية حديثة بالسويد ظهر أن 25% من السكان يعانون من أمراض، عصبية ونفسية، وأن 30% من النفقات الطبية مخصصة لعلاج هذه الأمراض، وأن نسبة حالات الانتحار بين الشباب تزداد، ويعقب المراقبون على هذه الإحصائية بقولهم: إنها تدعو إلى الذهول لأن السويد تعتبر من أغنى أربع دول في العالم[6].

ومنها الفلسفة العملية أو البراجماتزم التي تقيس الحقيقة بمدى النفع الذي يعود على الناس منها، فأعادت للأذهان الفلسفة السوفسطائية في عهد قدماء اليونان.

ومنها الوجودية التي تجعل من الحياة الإنسانية عبثًا عقيمًا وقضية خاسرة فلا تهتدي بهدى الأخلاق المقررة أو أصول الآداب المتواضع عليها، فتغرس في الإنسان اليأس والتشاؤم، وليس ثمة عدو أقسى للنفس الإنسانية من

---

(5) ينظر (الإسلام والمذاهب الفكرية) بالباب الثاني من هذا الكتاب. د. البهي: تهافت الفكر المادي ص34، 35.

(6) فتحي رضوان: الإسلام ومشكلات الفكر ص112 .

اليأس[7].

في النفس:

إن الاستقراء التاريخي يوضح لنا أن الصلة وثيقة بين حضارتنا والإسلام، ويظهر ذلك بصفة خاصة في مناسبات تاريخية ثلاثة، هي: حروب المغول والغزو الصليبي والاستعمار الصهيوني الاستيطاني الحالي، فعندما نسي المسلمون ما لأجله غادروا جزيرتهم – أي إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده – وأفسدوا في الأرض بعد إصلاحها – بعث الله عليهم عبادًا له أولي بأس شديد، أي سلط عليهم الصليبيين والتتار.

ويتضح لمن يطلع على أحداث التاريخ، ومشاهدات هذا العصر – وما حرب فلسطين منا ببعيد – يتضح له أن المد والجذر في تاريخ الإسلام تابعان لمدى قوة الإيمان وضعفه[8].

وما يلاحظ من ضعف المسلمين الحالي وتأخرهم فإنه يرجع إليهم لا إلى الإسلام.

هذا فيما يتصل بتحقيق التقدم والقوة للمسلمين. أما الجانب الثاني الذي يتضح لنا من السياق التاريخي لحضارتنا الإسلامية، فإنه يظهر في النهضة العلمية والعمرانية، فإذا قارنَّا الإسلام بمختلف ديانات العالم، عرفنا أن عقائدنا منعت معتنقيها من التقدم الحضاري عندما استمسكوا بها. ودون الغض من أية ديانة، فإن دارس التاريخ يلاحظ أن أهل أوروبا والبوذيين في اليابان على سبيل المثال، لما كانوا راسخين في معتقداتهم الدينية، كانوا على أسوأ ما يكون من أدوار التخلف ولما أحرزوا لأنفسهم الرقي والتقدم في حياتهم العلمية والعقلية والمادية، ما عادوا مؤمنين بمعتقداتهم المسيحية والبوذية إلا

---

(7) العقاد: أفيون الشعوب، المذاهب الهدامة ص**103**، **104** دار الاعتصام **1975**م.

(8) أبوالحسن الندوي: المد والجزر والمد في تاريخ المسلمين ص**14**.

اسمًا[9].

أما المسلمون، فعندما كانوا أقوياء في إيمانهم بمعتقداتهم صاروا أكثر أمم الأرض تقدمًا وازدهارًا وقوة ومجدًا، وما أن دب دبيب الضعف في إيمانهم بها حتى تخلفوا في ميادين العلم وضعفوا في صراعهم للرقي الدنيوي، وتحكمت فيهم واستولت عليهم أمم أجنبية.

وهذا فرق عظيم بين معتقدات الإسلام ومعتقدات الديانات الأخرى في العالم[10].

ك:

يقابل الدعاة كثيرًا من الأفكار التي تراود بعض الشباب بتأثير أفكار مضللة باسم الفكر الفلسفي أو النظر العلمي، فتوقع في نفوسهم وساوس التشكيك بواسطة دعاة الإلحاد وغيرهم.

ومثل هذه الشكوك لا تلبث أن تزول إذا ما جوبهت بما يدحضها باتخاذ أساليب الحوار العقلي وتقديم البراهين، فالإسلام يزدهر (وبراهينه تتألق من الحوار العقلي الحر.. ولم يهزم الإسلام أبدًا في مناقشة حرة)[11].

ومن واجب الدعاة إزاء تخرصات مدعي العلم، توجيه الشباب إلى الموقف العلمي الحديث، بعد ظهور الاكتشافات العلمية، والتقدم المذهل في مجال العلوم المتعددة، فبعد أن كان العلم يدعي معرفة الحقيقة الكلية، أصبح الآن متواضعًا يعرف قدر نفسه، فإنه يعني في كشف العلاقات العلية الثابتة بين الظواهر بعضها والبعض الآخر، منصرفًا عن التفسير والتحليل لأنه فوق طاقته[12].

---

(9) المودودي: الحضارة الإسلامية، أسسها ومبادؤها ص**98/97** .

(10) أبو الاعلى المودودي: الحضارة الإسلامية، أسسها ومبادؤها ص**97**، **98** .

(11) د. عبدالمنعم خفاجي: ص**83** حوار مع الشيوعيين في السجن .

(12) العقاد: عقائد المفكرين في القرن العشرين ص**35** .

وأعلن كثير من علماء العصر الحاضر – كل في مجال بحثه – أن جهودهم العلمية عززت الإيمان في نفوسهم، فوقفوا مبهورين أمام قدرة الخالق جل شأنه وبدائع صنعه من دقيقها وصغيرها كالديدان والحشرات إلى أكبرها وأعظمها كالكواكب السيارة من الشمس والقمر والأفلاك السابحة في الفضاء.

وعلى العكس فإن المنكر في القرن العشرين لا يستطيع أن يستند إلى أسباب من العلم يسلمها المفكرون[13].

وكل ما نريده الآن هو إقامة علم توحيد أساسه طريقة العلم الحديث وتقنياته بدلًا من علم الكلام الموروث عن الفرق الإسلامية التي عالجت مشاكل لم تعد موجودة في هذا الزمن، وفي مؤلفات العلماء المسلمين المعاصرين معين كبير للإسهام في هذا العمل، ولا بأس من استخدام بعض كتب العلماء من غير المسلمين الذين استخدموا أبحاثهم العلمية لتثبيت الإيمان بالله في النفوس[14] ويا حبذا لو ساهم الدعاة من ذوي التخصص في العلوم التجريبية والعملية بمؤلفاتهم وكذلك الحال في مواجهة الآراء الفلسفية.

فإذا كانت الفلسفة السائدة الآن في العالم بتصوراتها عن الوجود والحياة ما هي إلا تخيلات لأصحابها بلا حجة أو دليل، فقد أصبح من الضروري تقديم البديل بإظهار الحقائق الإسلامية في مسائل الألوهية والخلق والبعث وسائر عالم الغيب، بالإضافة إلى الحديث عن الإنسان ومكانته في الوجود ودوره وقيمه.

ولاشك أن الداعية سيعثر على درر ثمينة لو غاص في أعماق الكتاب

---

(13) ن.م ص**36** .

(14) نذكر من النوع الأول: د. محمد أحمد الغمراوي د. الفندي ووحيد الدين خان ونعني من مؤلفات غير المسلمين (الإنسان ذلك المجهول – كارليل) الكون الغامض العلم للإيمان وغيرها.

الكريم وعاش مع السنة النبوية، ونوصي في هذا الصدد باتباع المنهج المقارن، فبعد استخلاص الحقائق المستمدة من مصادرها، يمكن مقارنتها بتصورات الفلاسفة أو الأفكار الدينية الأخرى، وبذلك يظهر سمو العقيدة الإسلامية على سائر العقائد وألوان الفكر الفلسفي.

من الكتاب.

الباب الثاني

الإسلام والمذاهب الفكرية

الإسلام والمذاهب الفكرية

سنعني في هذا الباب بتناول بعض المذاهب الفكرية لاسيما المعاصرة بمنهج مقارن بحيث نضع إزاءها آراء مفكري الإسلام، إذ نرى كما قلنا في المقدمة ضرورة تزويد المسلم المعاصر بعامة، والطالب الجامعي بخاصة بزاد الفكر الذي يحصنه في مواجهة تأثير سحر حضارة أوروبا، حتى لا تخدعه المظاهر البراقة للتقدم العلمي التكنولوجي عن حقيقتها ودوافعها ومظاهر تحللها.

وها هو المؤرخ الكبير توينبي يقرر أنه بينما تظل الحضارة في حالة سكون أو انحدار في طريق الانحلال، ترتقي الأساليب التكنولوجية والمادية أثناء ذلك الانحلال.

أما عن دوافعها فبسبب ما حققه التقدم التكنولوجي في القضاء على عنصر المسافة المكانية، أصبح التنافس على عالم اليوم بين طريقتي الحياة الغربية والروسية قائمًا على أشده لإخضاع البشرية لواحدة منهما[1].

وإذا أردنا تقديم البرهان على ضرورة تعديل النظرة إلى هذه الحضارة، فإننا نستطلع رأيه بشيء من التفصيل فهو (يرى أن التوسع السياسي أو العسكري ليس دليلًا على النمو الحضاري بل قد يحدث أعظم توسع إقليمي في مرحلة مبكرة من مراحل تحلل إحدى الحضارة ثم انهيارها، وكذلك فإن التحسن الفني من المحتمل أن يؤدي إلى وأد الحضارة.. لأن التحسن الفني في نظر توينبي، قد يمتص جميع طاقات النشاط، وبذلك يصبح المجتمع عبدًا لهذا التحسن بدلًا من أن يكون سيدًا له، ومن ثم فالحضارة يمكن أن تتجدد أو تنهار بعد ذلك بل ورغم كل مظاهر هذا التقدم المادي[2].

---

(1) لمعي المطيعي: أرنولد توينبي ص**117** .

(2) لمعي المطيعي: أرنولد توينبي ص**116** .

وعلينا في هذه المرحلة التمهيدية أن نبين ما للحضارة الأوروبية المعاصرة من مظاهر مقتصرين على بيان اثنين منها:

: النظرة الفلسفية لتفسير الوجود والإنسان: حقيقته ودوره وأهدافه، هذه النظرة التي تراوحت بين النزعة المادية المفرطة في القرن التاسع عشر والانقلاب الروحي على يد أمثال برجسون وبلوندل وبرونشفيك[3].

ا: المظهر العلمي لهذه الحضارة المنفصل عن التصور الديني وهو ما يسمى بالعلمانية.

ولا نضيف جديدًا إلى ما نادى به بعض مفكرينا وعلمائنا المعاصرين إذا قلنا أن الفهم القائم على التحليل والدراسة هو أول الخطوات لمواجهة تأثير هذه الحضارة، لا لمقاومة تأثيرها العقائدي والأخلاقي فحسب. بل تجاوز ذلك والوصول لمرحلة تحديها[4] أيضًا. فإن ظاهرة التدهور والانحلال تعني الله:

(نرى أن سير التاريخ كأنما يستدرج العالم إلى فشل تجاربه وخيبة أمله في تجاربه العلمية والتكنولوجية الخ.. من ناحية ومن ناحية أخرى نمو العالم الإسلامي كمًّا وكيفًا.. ونرى في الخط الموازي كأنما الله يهيئ القاعدة التاريخية الاجتماعية لتحقيق الآية الكريمة: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الصف:9][5]. وكانت الآية نفسها قد تحدت وقت تنزلها الإمبراطوريتين والحضارتين القديمتين الكبيرتين؛ إمبراطورية وحضارة فارس من ناحية، وإمبراطورية وحضارة بيزنطة والبحر

---

(3) إميل برييه: اتجاهات الفلسفة المعاصرة ص10 .

(4) ونحن نعلم أن كتاب ألف بهذا المضمون أظهر فيه مؤلفه العقيدة الإسلامية في ثوب التحدي مستخدمًا مكتشفات العلم الحديث (ينظر كتاب وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى).

(5) مالك بن نبي: دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ص31 .

الأبيض على العموم من ناحية أخرى، ولعل التاريخ يعيد نفسه، لأن النظرة الفاحصة لمشكلة الحضارة الغربية، تدلنا على أنها تعاني من نفس مشكلة الحضارات السابقة.

نبي: (إن مشكلة الحضارة الغربية كمشكلة الحضارات السابقة في التردي إلى عبادة وثن من صنع المجتمع، إنه تأليه الدولة الآن بين أربعة أخماس سكان العالم، لقد أدى هذا التأليه إلى انهيار أربع عشرة وربما ست عشرة حضارة سابقة من عشرين حضارة، وتأليه اليوم أشد إرهابًا لأنه تدعمه أيديولوجيات وتمكن له التكنولوجيا الحديثة سواء في وسائل الإعلام أو غيرها، إن التعصب للدولة الإقليمية قد تستر خلف الاشتراكية الوطنية في النازية والفاشية، والقول إن هزيمة النازية وتوأمها الفاشية في الحرب العالمية الثانية قد أدت إلى القضاء على النزعة الحربية موضع شك كبير وتعد هذه الأنظمة تأليهًا للدولة لأن النظم الدكتاتورية تعد صورة مماثلة لعبادة قيصر أو عبادة (يهوه) فضلًا عن أنها تعد غيرها شعوبًا بربرية، ولازال الفراغ الروحي مستبدًّا بالنفوس في الغرب فانفتحت الأبواب لتدخل شياطين التعصب للدولة وتستبدل بعبادة الله الواحد وثنًا واحدًا اسمه عبادة الدولة، كما تستبدل بالأديان أيديولوجيات من صنع المجتمع، إن افتقار المرء للدين يدفعه إلى حالة من اليأس الروحي تضطره إلى التماس فتات العزاء الديني إلى موائد لا تملك منها شيئًا، ولقد أراد بعض الفلاسفة إحلال أهداف بديلة عن الدين كفكرة دين الإنسانية لدى أوجست كونت، ولكنها بدت عقيدة باهتة ممسوخة ومن ثم لم تلق قبولًا، على أن عقول العالم مفتونة اليوم بأيديولوجية أشد خطرًا ممثلة في الماركسية، وهذه تناظر اليهودية إلى حد كبير، ليس لأن المبشر بها يهودي فحسب، بل لأنها أحلت عبادة الشيوعية محل الإله (يهوه) كما جعلت البروليتاريا مناظرة لشعب الله المختار، والخارجون على البروليتاريا كالشعوب الأممية لدى

اليهود، وتمنى الناس بفردوس على الأرض بديلًا عن نعيم الجنات، ولقد تكالبت الجماهير على مثل هذه الأيديولوجيات كبديل عن الدين، ولكن (ليس بالخبز وحده يحيى الإنسان)، إن أزمة المجتمع الغربي هي في جوهرها أزمة روحية وليست مادية) [6].

وبهذا الفهم القائم على الدراسة والتحليل العلمي، يفهم المسلم المعاصر عقيدته، ويعي دوره، ويعرف هدفه. ففي الإسلام، الطاقة في الإيمان عقلية في أكثر أحوالها، تعتمد على الرشد والنقد والمحاكمة وقد أمدها هذا العصر العلمي الأخير بمدد لا يفنى من الحجج والبراهين[7]. وهكذا يصبح من السهل استعادة استقلالنا في مجال الأفكار، ولن يتحقق هذا الاستقلال إلا بتعديل جذري في مناهج دراسة الثقافة الأوروبية سواء في الأدب أو الفلسفة أو التاريخ، لكي تنقذ أجيالنا من تشرب روح المدنية الغربية، وتبصرها بسعة الثقافة الإسلامية وغناها، فيشع في نفوسها الأمل من جديد بحسن مستقبلها[8].

وإذا أردنا المساهمة في تعديل منهج دراسة المشكلات الفلسفية المعاصرة، فلابد من الإلمام ببعض مباحث الفلسفة اليونانية من حيث الموضوعات التي تصدت لمعالجتها وأبرز اتجاهاتها لأن الحضارة الإغريقية هي السلف الحقيقي للحضارة الأوروبية الحديثة[9].

:

أ- بحث قضية اتصال هذه الفلسفة بالفكر الشرقي القديم.

ب- الفكر الديني في أهم مدارس هذه الفلسفة والموقف الإسلامي منها.

---

(6) توينبي: التاريخ يعيد نفسه (نقلًا عن د. أحمد صبحي/ فلسفة التاريخ ص**292**).

(7) عبدالمنعم خلاف: العقل المؤمن ص**4**.

(8) محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق ص**74**.

(9) لمعي المطيعي: أرنولد توينبي ص**29** .

جـ- نظرة مقارنة بين العقيدة الدينية والفكر الفلسفي.

م:

سنبدأ بمناقشة القضية التي تحتل مكانها بين مؤرخي الفكر الإنساني وتتمثل في الإجابة على التساؤل الآتي:

أيهما أسبق؟ هل الفلسفة اليونانية هي الأصل في الفكر الإنساني بعامة؟ أم كانت مسبوقة بفكر شرقي قديم كان بدوره يحمل في ثناياه بقايا رسالات سماوية؟.

إننا نرى في إظهار الفكر الإغريقي وحده بمظهر الجدة والأصالة اتجاه يعبر عن انحياز عنصري غربي إذ ينكر على غيره من الأجناس أي دور في التراث الثقافي الإنساني والحضارات العالمية وهذا الاتجاه مع انحيازه يدل أيضًا على خطأ في النظر كما يقول «توينبي» الذي ينتمي بدوره إلى الحضارة عينها بسبب افتراضهم أن للحضارة نهرًا واحدًا وهو افتراض مبني في رأيه على أوهام ثلاثة:

لها: حب الذات.

: ركود الشرق في العصر الحالي.

الثالث: الظن بأن التقدم يلتزم خطًا مستقيمًا[10].

ولكن يبدو أنه آن الأوان لكي يخفف الغربي من استعلائه في ضوء الدراسات المتتابعة التي تضع الأمور في نصابها منها ما كشف عنه الأستاذ «ماسون أورسيل»، الذي يقرر أن الحضارة القديمة ولدت ونمت في الشرق وأنه في العصر الذي لم يكن فيه اليونان إلا جهلة وبرابرة كانت هناك حضارات لامعة زاهية على ضفاف النيل وفي سهول كلوديا ويؤيد هذا الرأي عالمان آخران هما جورج سارتون وول ديورانت.

ومهما يكن من أمر فإننا نود الإسهام في هذا البحث لنستطلع مدى صحة

---

(10) توينبي: مختصر دراسة التاريخ ص27.

رأي آخر مؤداه التقاء النظر الإنساني عند افتقاده لعنصر الوحي – على مظاهر الشرك والوثنية أيًّا كان جنسه أو بيئته، وأن المحاولات العقلية في مجال الخوض في عالم الغيب بلا سند من عون إلهي يتمثل في الوحي يؤدي إلى مسالك ومتاهات متضاربة، فمن الحقائق المقررة أن الكتب السماوية توضح أن الله سبحانه لما خلق أبا البشر، كرمه وعلمه حقائق الأشياء، وكان فيما علمه أنه هو خالق السموات والأرض وما فيهما، وأنه هو خالق الناس ورازقهم، وأنه هو مولاهم الذي تجب طاعته وعبادته، وأنه سيعيدهم إليه ويحاسبهم على ما فعلوا ثم أمره أن يورث علم هذه الحقيقة إلى ذريته ففعل، وظلت هذه العقيدة ميراث الإنسانية عن الإنسان الأول. نعم إن الناس لم يكونوا كلهم أوفياء لهذه الوصية المقدسة، بل إن أكثرهم وقع في الضلال والشرك، ولكن هذا التعليم لم يمح أثره محوًا تامًّا من البشرية، ولذلك ظلت فكرة الألوهية والعبادة بوجه عام مستمرة في جميع الشعوب، على أن العناية السماوية بهذا التعليم الروحي لم تقف به عند الإنسان الأول، بل مازالت تتعهد به الأمم في فترات تقصر أو تطول، وجعلت تذكرهم به على لسان سفراء الوحي من الأنبياء والمرسلين وإن كتب الديانات العظمى لتنتسب كلها إلى هذا المصدر السماوي[11].

ف نشأت؟

؟

دأب الإنسان منذ القدم على التأمل (في الكون المحيط به والتفكير في ملكوت السموات والأرض[12].

وإذا كان التفكير هو النظر العقلي في الأشياء، فقد اصطلح على تسمية

---

(11) د. دراز: الدين.

(12) د. بيصار: إثبات العقائد الإسلامية بين النصيين والعقليين ص**9**.

النظر العقلي بالفلسفة – فهي لون من ألوان التفكير – وموضوعها البحث عن المبادئ الأولى أو الوجود بما هو موجود لمحاولة الإجابة على الأسئلة التي تدور في الأذهان بالفطرة، فإن الإنسان مهما أمسكت بتلابيبه الشواغل الدنيوية، ومهما أخذت بنفسه آماله وأحلامه، أو أنهكته الهموم والأحزان، أو أفعمت قلبه ألوان الفرح والغبطة، فإنه لابد أن يجد في نفسه هذه الضرورة الملحة التي تدفعه على محاولة الإجابة على أسئلة عديدة، والتطلع إلى عالم الغيب، لمحاولة معرفة مسائله والبحث عن الأصول العظمى الأولى، عن الله سبحانه وصفاته، وكيف خلق العالم؟ وما حقيقة النبوة والوحي والرسالة؟ وما الحياة الآخرة؟ (وما الوجود؟ وما أصل الوجود؟ وما نهاية العالم وما غاية الإنسان من الحياة؟ وما الخير وما الشر؟ وما قيمة العقل البشري؟ وما حدوده؟.. الخ[13]).

من هنا ينبغي البدء بالبحث عن معنى الاصطلاح المنقول من اليونانية تحت اسم الفلسفة. يقول ابن أبي أصيبعة (**660**هـ) أن اسم الفلسفة يوناني (وهو دخيل في العربية، وهو على مذهب لسانهم فيلاسوفيا، ومعناه إيثار الحكمة وهو في لسانهم مركب من فيلا وسوفيا، ففيلا «الإيثار» وسوفيا «الحكمة».

أما «الفيلسوف» فإنه مشتق من الفلسفة، وهو مذهب لسانهم فيلوسوفوس فإن هذا التغيير هو كثير من الاشتقاقات عندهم ومعناه «المؤثر للحكمة»[14].

وقيل إن الفيلسوف الرياضي المشهور فيثاغورث قد استبدل بكلمتي «حكمة **Sophia** وحكيم **Philo** كلمتي محبة الحكمة و«محب الحكمة **Philo-Sophia** [15].

ولكن لا يكفي لدراسة الفلسفة أن نكتفي بتعريفها – أو بمعنى أدق

---

(13) د. أحمد الأهواني: في عالم الفلسفة ص**54**، **55** .

(14) مصطفى عبدالرازق: تمهيد ص**39** (نقلًا عن عيون الأنباء في طبقات الأطباء).

(15) د. زكريا إبراهيم مبادئ الفلسفة والأخلاق ص**9**.

بتعريفاتها المتباينة على ما سيأتي – فإن تاريخ الفلسفة يشكل حلقات مستمرة من الاختلاف حتى في تعريفها (فليس هناك اتفاق على شيء في الفلسفة)[16] وربما يعبر النزاع بين الفلاسفة عن قصور العقل البشري عن فهم ما فوق طوره – أي مسائل الغيبيات – كما يذهب إلى ذلك ابن خلدون؛ لأن توضيحها من مهمة الرسالات السماوية التي تمد النفوس البشرية وتغذيها بالطمأنينة، حيث تقدم الحقائق اليقينية بواسطة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، على ما سيظهر لنا عند انتقالنا إلى دراسة هذه الموضوعات في التصور الإسلامي، إذ أنه ردًّا على (السؤالين العقيديين الرئيسيين اللذين تنازع واختلف بصددهما الفكر الفلسفي) ما هو مصدر الكون؟ وما مصيره؟ نعلم كيف أن الديانات السماوية بعد أن قدمت إجابة دقيقة عليهما، أسست على هذه الإجابة نظامًا كاملًا في العقيدة والعبادة[17].

تاريخها:

إذا قسمنا تاريخ الفكر الإنساني إلى أدوار ومراحل، فإننا نستطيع أو نقول إنه من الصعب العثور على نقطة بداية معروفة لتاريخ الفلسفة أو نشأتها، علمًا بأنه كان يراد بالفلسفة (في العصر القديم: العلم)[18] إلا أنه قد (جرت عادة مؤرخو الفلسفة من الغربيين على إرجاع نشأتها إلى الطبيعيين الأول)[19].

ولكن الدكتور سارطون ينقد هذا المنهج بشدة، ويرى أنه من الخطأ إهمال العلم الشرقي، ويقول بهذا المعنى (فمن سذاجة الأطفال أن نفترض أن العلم بدأ في بلاد الإغريق) مقررًا أن العلم في بلاد الإغريق قد سبق بآلاف الجهود العلمية (في مصر وبلاد ما بين النهرين وغيرها من الأقاليم)، وبناء على هذه

---

(16) د. توفيق الطويل: إن الفلسفة ليس لها تعريف معتمد. أسس الفلسفة ص**86** .

(17) د. دراز: مدخل إلى القرآن ص**71**.

(18) كولبه: مدخل إلى الفلسفة ص**11**.

(19) د. زكريا إبراهيم – مشكلة الفلسفة ص**28**.

المقدمات يستخلص منها النتيجة التي يسوقها بحثه وهو أن العلم اليوناني (كان إحياء أكثر منه اختراعًا)[20].

وسنحاول في دراستنا أن نبحث في أصول الفكر الشرقي القديم السابق للفلسفة اليونانية ونعرض لأهم عناصره طبقًا لما أمكن للباحثين الحصول عليه من وثائق للعصور الموغلة في القدم.

ولئن كانت هذه المحاولة أقرب إلى دراسة تاريخ الأديان، إلا أنها تتصل في بعض الاتجاهات (بالنظر الإنساني.. قبل أن يطلق عليه ذلك الاصطلاح الفني وهو كلمة «فلسفة»)[21].

ولا يخطر على بالنا الغض من الدور الذي أداه اليونان للفكر الإنساني، ولكننا بمقارنته بالسابق واللاحق، نستطيع إدراجه في إحدى حلقات الدورات الحضارية الإنسانية التي ينبغي النظر إليها من وجهة نظر أوسع آفاقًا من النظرة التي يمليها التعصب لجنس معين أو قارة دون أخرى. ومن أمثلة هذا التعصب لما نستخلصه من عبارة برييه المتحمسة للفلسفة اليونانية التي يعتبرها إنتاجًا فكريًا لا مثيل له، وإنها من السمات الجوهرية التي تميز العبقرية الغربية[22]، ويمكن تفسير اهتمام برييه – وغيره من الباحثين الغربيين بالفلسفة اليونانية إلى أنه نوع من تعليل امتياز السلالات الأوربية بين جميع السلالات البشرية (العقاد في كتابه – التفكير فريضة إسلامية ص**65**).

وعلى الضد من هذا الاتجاه، فإننا نعثر في أفكار الدكتور سارطون على معارضة لهذا التعصب لكل ما هو غربي، فيصرح بأن المنهج الغربي في البحث في أصول الفكر الإنساني – أو ماضيه – وضع لنفسه حدودًا لا يتعداها متقيدًا بالفكرين العبري والإغريقي وحدهما – لأنهما المؤثران في

---

(20) سارطون: تاريخ العلم الكتاب الأول (الأصول الشرقية واليونان) ص**20**.

(21) د. محمد غلاب: الفلسفة الشرقية ص**9**.

(22) إميل برييه: اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ص**18**.

الفكر الغربي، إلا أنه لا ينبغي إهمال العلمين الهندي والصيني مثلًا على مالهما من أسبقية وأهميته، ثم يصرح في تواضع على أن الثقافة المستمدة من الأصلين الإغريقي والعبري ليست أحسن ثقافة، بل إن (الزعم بأنها بالضرورة أرقى الثقافات فيه خطأ وشر، وهذا الزعم هو المصدر الرئيسي للمتاعب الدولية في العالم)[23].

إن هناك من الحضارات ما هو أسبق من الحضارة اليونانية، كالحضارة المصرية حيث كان المصريون أرباب حضارة ممتدة أكثر من أربع آلاف سنة قبل الميلاد، وكان التقدم في العلوم والفنون عند قدماء المصريين ظاهرًا في مجال الرياضيات والفلك والطب والكيمياء، وقد نشأ هذا التقدم العلمي في أحضان الدين (وفي أبهاء المعابد وعلى أيدي الكهنة)[24].

وعلينا أن نذكر على سبيل المثال الفلاسفة الذين سافروا إلى مصر واتصلوا بالكهنة، آخذين عنهم آخر ما انتهى إليه العلم المصري، وهم طاليس وفيثاغورث وأفلاطون، حيث اقتبسوا هذا العلم ونقلوه إلى بلادهم تحت اسم (الفلسفة)[25].

حقًّا إنه لم يكن هناك نقل حرفي لنظرياتهم عن المدرسة المصرية، ولكن الناقدين المحدثين أثبتوا تبعية هؤلاء الفلاسفة للمصريين في الدين والأخلاق[26].

إن المنهج الذي اتبعه (بول ماسون) وتقيد فيه بوضع الفلسفة الغربية (وفي وسط مجموعة التفكير الإنساني باعتبار) أنه قابل للدراسة التاريخية)، قد ساعده على الوصول إلى إحدى النتائج الهامة، فأثبت أن مصدر الحضارات

---

(23) سارطون: تاريخ العلم – الكتاب الأول ص**23**.

(24) د. أهواني: المدارس الفلسفية ص**7**.

(25) ن . م ص**7**، **8** .

(26) بول ماسون: الفلسفة الشرقية ص**16**.

المشترك هو آسيا منذ ثلاثة آلاف أو ألفي سنة خلت قبل الميلاد[27].

من أجل ذلك لم يسع منكرو الفكر السابق للفلسفة اليونانية إلا الإقرار بالمعارف العامة المختلطة بالدين في موضوعات الألوهية والعالم الآخر والنفس عند أهل بابل وفي مصر والعبرانيين في معالجتها بالبداهة والخيال دون استدلال – إلى جانب الاعتراف بالفضل للفرس والهنود والصينيين الذين زاولوا النظر العقلي إلى حد بعيد، ولكن، كل ما عابهم في هذا النظر – عند صاحب هذا الرأي – هو قصره على تمحيص الدين وإصلاحه لأن مقصدهم الأول كان النجاة من الشر[28].

هذا فيما يتعلق بالمعارف العامة، فإذا شئنا التفصيل لأمكن العثور على أفكار محددة لم يكن للفلسفة اليونانية من دور فيها إلا نقلها، بل وربما تحويرها – على ما سيظهر لنا بعد قليل. ففكرة التوحيد مثلًا أتت عند الفلاسفة في زمن متأخر، وقد خرجت قبلها (من أفواه الأنبياء وهم موسى ومن خلفه عليهم السلام حوالي ألف عام قبل عصر سقراط وأفلاطون)[29] كما لا يغيب عن الأذهان مغزى اتفاق كل من التفكير الديني والفلسفي في تقسيم الوجود إلى عقل ومادة، وجسم وروح، والطبيعة وما بعد الطبيعة[30].

وفكرة الروح أيضًا، تلقاها الفلاسفة من عقائد دينية أسبق منهم، (آمن الإنسان بالإله الواحد من طريق العقيدة قبل الميلاد بأكثر من عشرة قرون، ولكنه لم يعرف «السبب الأول» من طريق الفلسفة إلا حوالي القرن الرابع قبل الميلاد، وكان جُل اعتماده في ذلك على الدين)[31].

وكذلك العلم – فقد كان يرتبط بالفلسفة ارتباطًا وثيقًا في العصر اليوناني

---

(27) برييه: مقدمة كتاب الفلسفة في الشرق ص**7** .

(28) يوسف كرم صفحة (د) تاريخ الفلسفة اليونانية ط **1953**م.

(29) ليون جونييه: المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية ص**30**.

(30) حسن سعيد الكرمي: الثنوية في التفكير ص**173** مجلة عالم الفكر يوليو، أغسطس، سبتمبر **72** .

(31) العقاد: الله ص**120**، **121** وينظر كتاب الدكتور توفيق الطويل أسس الفلسفة ص**22**.

القديم، أو بمعنى أخص – العصر الهليني، حيث أخذت العقلية الإغريقية الهندسة عن مصر، وهي تعتبر النموذج الأصلي للمعرفة عند أفلاطون[32]، والدارس لكتب أفلاطون يستطيع أن يتتبع المؤثرات الشرقية المختلفة من إيرانية وبابلية أيضًا إلى جانب المصرية.

ومن هذه الدراسات التفصيلية أمكن للدكتور سارطون أن يستخلص النتيجة المترتبة عليها وهي أن العلم اليوناني لم يكن بدءًا لحركة علمية، وإنما هو ذروة جهود علمية ترجع إلى ما قبله بألفي عام[33].

:

لا تعوزنا الأدلة التي ترجح أن الفكر الفلسفي اليوناني لم ينفرد بالأصالة والإبداع، وإنما هو امتداد – قد يتفق أو لا يتفق، في بعض أجزائه كلها، مع جذور أسبق منه، قد تتمثل في الفكر الديني، أو بقايا فكر ديني مختلط بعناصر النظر للعقل الإنساني، الذي كان دأبه تجريف الرسالات السماوية (إذ وجدت في الشرق حركة غنوصية (مصدرها كلمة Gnosis وإنكار الوحي وإشراقية إلحادية ممزوجة بعناصر يهودية. وكانت هذه الحركة تهدف إلى مسخ الأديان التي تعتمد على الوحي. وقد استمرت عبر القرون تظهر، بين حين وآخر، لتقاوم الديانات الموحى بها)[34].

إن الباحث في أصول هذا الفكر يعثر على سمات بارزة له، تتمثل في بعض العناصر المشتركة بينه وبين الفلسفة اليونانية، كالحوم حول فكرة الألوهية، والبحث فيما وراء الطبيعة.

---

(32) بول ماسون: الفلسفة في الشرق الأوسط ص**55**.

(33) سارطون: الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط ص**26**.

(34) د. محمود قاسم: دراسات في الفلسفة الإسلامية ص**20** .

■ **الهند:**

ففي الهند، يتضح من النصوص الدينية التي تمثل عقائد سكانها، أنها كانت تحوي أناشيد للإله الأكبر المسمى (فارونا) وهو عندهم رب السماء وحامي النظم الأخلاقية، وقد ارتقوا به إلى مستوى إله اليهود (يهوه).. وفيما يلي نقرأ بعض فقرات بما يسمونه بـ«الأنشودة الأولى»:

الحكمـــاء هـــم الأجيـــال فـــي طريـــق العظمـــة
عنـــه الـــذي جعـــل العـــالمين الواســـعين مشـــطورين
ودفـــع عقـــد الســـماء إلـــى العظمـــة والارتفـــاع
وكـــذلك كوكـــب النهـــار، وبســـط الأرض عريضـــة
مـــع نفســـي بـــذاتها، تأملـــت هـــذا الســـؤال:
متـــى ســـأكون مـــع فارونـــا متحـــدًا؟
متـــى – بقلـــب ســـعيد – أحظـــى برحمتـــه؟[1]

ويذكر المسعودي في كتابه (مروج الذهب) أن جماعة أهل العلم والنظر والبحث في العالم، المتتبعين أخباره منذ بدئه، أن الهند كانت منذ قديم الزمان (الغرة التي فيها الصلاح والحكمة)[2]، ويخص بالذكر الملك (البرهمن الأكبر) الذي ظهرت في أيامه الحكمة (وتقدمت العلماء، واستخرجوا الحديد من المعادن، وضربت في أيامه السيوف والخناجر.. وغرس في نفوس الخواص دراية ما هو أعلى من ذلك، وأشار إلى المبدأ الأولى المعطى سائر الموجودات وجودها الفائض عليها).

إن الفكر الديني إذن كان معروفًا، والبحث عن الخالق جل شأنه كان مطروقًا، إلى جانب اهتمامه بالعلم والعمران أيضًا، فقد جمع الحكماء فكتبوا

---

(1) د. محمد جابر عبدالعال: في العقائد والأديان ص**92** .

(2) المسعودي: مروج الذهب ج**1** ص**62** .

له كتاب (السندهند) وتفسيره (دهر الدهور)[1].

ولئن كان المشهور عن البرهمن هذا كونه ملكًا، إلا أن احتمال كونه رسولًا إلى الهند كان احتمالًا قائمًا عند المؤرخين (فمنهم من زعم أنه آدم عليه السلام، وأنه رسول الله عز وجل إلى الهند، ومنهم من يقول – أنه كان ملكًا على حسب ما ذكرنا – وهذا أشهر)[2].

ويتفق الشهرستاني مع المسعودي فيرى أن الديانة البرهمية تنسب إلى رجل عظيم يقال له براهيم، إلا أن الدكتور وافي قد رجح نسبتها إلى الإله براهما، حيث تعد من أقدم الديانات في الأمم، ويرجع تاريخها إلى نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد)[3].

ومهما يكن من أمر، فإن الباحث يتوقف عند الآراء التي أوردها المسعودي على لسان سبعة من حكمائهم يتناظرون في موضوعات ما بعد الطبيعة، وهي تشير إلى أن أمثال هؤلاء الحكماء عالجوا المشاكل الفلسفية قبل فلاسفة اليونان.

وإذا تأملنا هذه المسائل، فإننا سرعان ما نجد أنها تتصل بأعمق المشكلات التي تشغل الفكر الإنساني إلى الآن، فقد كانوا يتناظرون في قصة العالم، ويتساءلون عن سره، ومن أين جئنا؟ وإلى أين ينتهي؟ وعن خالقنا – عز وجل ل: (أترى أحدًا من الناس أدرك الأشياء الحاضرة والغائبة على حقيقة الإدراك فظفر بالبغية واستراح إلى الثقة)؟

وربما يعني استحالة إدراك الأشياء الغائبة عن الحس والإدراك العقلي (لو تناهت حكمة البارئ عز وجل في أحد العقول كان ذلك نقصًا من حكمته، وكان الغرض غير مدرك، وكان التقصير مانعًا من الإدراك).

---

(1) نفس المصدر ص**62** .

(2) المصدر السابق ص**65** .

(3) د. وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام ص**156** .

وربما يشير إلى قصور العقل المخلوق عن إدراك ماهية خالقه جل شأنه.

قال الثالث (الواجب علينا أن نبتدئ بمعرفة أنفسنا التي هي أقرب الأشياء منا، ونحن أولى بها وهي أولى بنا من قبل أن نتفرغ إلى علم ما بعد منا).

وهو رأي أقرب إلى قول سقراط المشهور (اعرف نفسك) كما يفهم منه حضه على النظر في نفس الإنسان أولًا واتخاذها موضوعًا للدراسة بدلًا من البحث في ما وراء قدراته.

م الرابع (لو شاء وقوع أمر وقع وقوعًا احتاج فيه بنفسه).

وفي عبارته إشارة لمعالجة موضوع القضاء والقدر.

م الخامس الذي اتخذ موقف العجز عن الإجابة عن الموضوعات المطروحة للبحث، واهتدائه إلى الحاجة إلى شخص حكيم، يستمد الحكمة من مصدر آخر غير عقله لعجز العقل عن الخوض في المشكلات المثارة، فقال: (من هنا، وجب الاتصال بالعلماء الممدودين بالحكمة).

قال السادس ليشرح قصر حياة الإنسان في هذه الدنيا، وأنه لابد مغادرها، فالواجب على المرء المحب لسعادة نفسه أن لا يغفل عن ذلك، لاسيما إذا كان المقام الدائم في دنيانا ممتنعًا والخروج منها واجبًا وحتميًّا.

م السابع بهذه الحقيقة التي لخص فيها موقفه العاجز عن إيجاد الإجابة الشافية لكل ما تقدم. قال (أنا لا أدري ما تقولون، غير أني أخرجت إلى هذه الدنيا مضطرًا، وعشت فيها حائرًا، وأخرج منها مكرهًا)[1].

ومن المحتمل أن الحكماء السبعة الذين أشار إليهم المسعودي وهم من الهنود الذين ظهروا في عهد ملك (البرهمن) الذي – ظهرت في أيامه الحكمة، وهؤلاء السبعة هم المنظور إليهم، أي على رأس الحكماء، وكانوا قد اجتمعوا أثناء هذه المناظرة في (بيت الذهب).. ثم يختم قصة هؤلاء الحكماء

---

(1) مروج الذهب: ج**1** ص**64**، **65** .

بقوله (فاختلف الهند ممن سلف وخلف في آراء هؤلاء السبعة وكل قد اقتدى بهم ويمم مذهبهم، ثم تفرعوا بعد ذلك في مذاهبهم، وتنازعوا في آرائهم، والذي وقع عليه الحصر من طوائفهم سبعون فرقة)[1].

كما يشير إلى أن برهمن هذا قد جمع الحكماء لكتابة كتاب (السندهند) كما تقدم (ومنه فرعت الكتب ككتاب الأزجهير والمجسطي ومن المجسطي كتاب بطليموس ثم عمل منهما بعد ذلك الزيجات، وأحدثوا التسعة الأحرف المحيطة بالحساب الهندي.. الخ)[2].

إن مثل العبارة الأخيرة تشير إلى الأصول الهندية للعلم اليوناني.

ومن المحتمل أنهم الحكماء السبعة الذين أشار إليهم أفلاطون في محاورة (بروتاجوراس) مع ترديد أقوالهم على ألسنة أسماء يونانية[3].

والظاهر أن الرواية التي أوردها المسعودي (المتوفى **346**هـ) هي أقرب الروايات إلى الصحة لاسيما أنه يتقيد بمنهج المؤرخ فيصف كتابه الآنف الذكر بأنه (كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر)[4] ومعنى هذا أنه يتقيد بغرضه المحدد، وهو نقل الأخبار. ويمكن أن يوجه النقد في عدم دقة النقل إلى الشهرستاني أو القفطي أو الشهرزوري المتأخرين عن المسعودي.

وقد أشار الدكتور الأهواني إلى أن قصة الحكماء السبعة قد انتقلت إلى العرب مشوهة، قاصدًا ما رواه الشهرستاني والقفطي والشهرزوري حيث أطلقوا عليهم أسماء طاليس وأنكساجوراس وأنكسمانس، وأنبذ وقليس وفيثاغورس وسقراط وأفلاطون، دون أن يذكر على سبيل التحديد المسعودي،

---

(1) مروج الذهب: ج**1** ص**65** 2- ن . ص**62** .

(2) د. الاهواني فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ص**41** ط الحلبي **1954**م .

(3) ن . م ص**62** .

(4) مروج الذهب ج**1** ص**63** .

مع أن الأخير – كما رأينا – كان دقيقًا في نقل آرائهم، وقاطعًا في إيجاد الصلة بينهم وبين البرهمن ملك الهند، مع حرصه على ذكر واقعة اجتماعهم في (بيت الذهب)، بينما تذكر قصة اجتماعهم في محاورة (بروتاجوراس) الأفلاطونية أنهم اجتمعوا في (بيت كالياس أحد أغنياء أثينا)[1].

):

بالرغم من أن زرادشت قد نشأ ببلاد الهند أيضًا إلا أنه اضطر إلى الانتقال إلى بلاد الفرس للدعوة لدينه بعد أن أعرض قومه عنه ورفضوا دعوته. (ولم يحل عام **500**ق.م حتى كانت الزرادشتيه هي الديانة الأولى بين الإيرانيين كما قبلها أباطرة الفرس أيضًا)[2].

ويصف المسعودي زرادشت بأنه من أهل أذربيجان (وهو نبي المجوس الذي أتاهم بالكتاب المعروف بالزمزمة عند عوام الناس، واسمه عند المجوس نسياه، وأتى زرادشت عندهم بالمعجزات الباهرات للعقول، وأخبر عن الكائنات من المغيبات قبل حدوثها في الكليات والجزئيات)[3].

ويوصف تارة بأنه أحد ملوك الفرس، وتارة أخرى بأنه نبي، وهناك فريق ثالث من الباحثين يذهب إلى أنه إبراهيم عليه السلام، وأنه أتى بالصحف التي أشار إليها القرآن الكريم مرجحين هذا الاحتمال بالتشابه بين حياة كليهما من حيث التأمل في الكواكب، والانتهاء إلى القطع بأنها ليست آلهة، والإلقاء في النار، ونهى قومهما عن عبادة الأوثان[4] إلا أن هذا الفريق من الباحثين لا يستند إلى سند يعتد به[5].

---

(1) فجر الفلسفة ص**42**.

(2) د. محمد جابر عبدالعال: في العقائد والأديان ص**164** .

(3) مروج الذهب ج**1** ص**194** .

(4) د. وافي: الأسفار.. ص**126**، **127** .

(5) ن . م ص**127** .

ومع هذا فإن احتمال اتصال هؤلاء الدعاة بأديان سابقة سيظل قائمًا (فإن هدى الله بلسان الرسل أقدم من اليونان وفلسفتهم، بل إني أرجح أن كثيرًا من فلسفة الأقدمين في مصر والصين والهند، هي بقايا نبوات نسيها التاريخ، فحشر أصحابها في عداد الفلسفة، ولعلهم من الرسل أو أتباع الرسل)[1].

ولعل النظرة الفاحصة لبعض تراتيل الزرادشتيه المسماة «الجاثات» المستقاة من كتاب (الياسنا) تدعم هذا الاحتمال، فالخير ليس إلا كائنًا إلاهيًّا أطلق عليه اسم مازدا (الذي كان اسمًا لأحد الآلهة القدامى أو (أهورا مازدا) ومعناه رب الحكمة، الذي رأى فيه أنه هو الله)[2].

جاء على لسان زرادشت في النصوص المرجح أصالتها، والتي وردت في تراتيل (الجاثات) قوله: «إلى أي أرض أفر؟ وإلى أي اتجاه يكون المهرب، إلى النبلاء والسادة وهم يقاطعونني، أم إلى الناس وهم غير راضين عني أم إلى حكام الأرض الخونة؟ كيف أبلغ رضاك يا أهورا مازدا؟»[3].

وفي نص آخر يفهم منه أنه نبي ينزل عليه الوحي، قال (عرفت أنك الواحد الإلهي يا مازدا أهورا)[4].

---

(1) الشيخ نديم الجسر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ص**36** .

(2) د. محمد جابر عبدالقادر: في العقائد والأديان ص**165** .

(3) د. محمد جابر عبد القادر: في العقائد والأديان ص**166** .

(4) د. محمد جابر عبد القادر: في العقائد والأديان ص**166** .

ن (العراق):

أما عن العقائد المعروفة في أرض الرافدين (العراق) فقد عرفت هناك المعتقدات التي تدور حول إله سومير وإله بابل، ودون الخوض في تفاصيل هذه العقائد، يمكن التوقف فقط عند قصة الطوفان البابلية التي تشبه في بعض ملامحها قصة طوفان نوح عليه السلام الواردة في القرآن الكريم، وقد اكتشفت القصة البابلية على ألواح اكتشفها الأثري جورج سميث، وفيما يلي مقتطفات من هذه القصة:

وضعت على السفينة كل أهلي وأقاربي
وكل ماشية الحقل، ووحوش الحقل،
ورجال الحرف كلهم، وضعت على السفينة
في وقت معين كان شمش قد عينه (قائلًا)
حينما يرسل حاكم الظلام مطرًا ثقيلًا من الماء
حينئذ أدخل في السفينة وأغلق بابك،
جاء الوقت المحدد
أرسل حاكم الظلام أفواج المياه مطرًا ثقيلًا
تبين لي مظهر الجو
فخفت أن أرى الجو
دخلت السفينة وأغلقت بابي.. الخ[1].

ثم تقابلنا اختلافات بعد ذلك توضح خلط القصة بفكرة تعدد الآلهة، أو بمعنى آخر، فكرة الإشراك بالله الواحد، التي أخذت تتسرب إلى الأديان بواسطة معتنقيها أنفسهم.

---

(1) ن . م ص**78، 79** .

نستخلص من دراستنا الموجزة لبعض أنماط الفكر الشرقي القديم أنه لا ينبغي حصر نطاق العقائد والأفكار في دائرة القالب الغربي وحده وهو ما اصطلح على تسميته بالفلسفة دون نظر إلى اختلاف الشعوب والأمم في طرق تفكيرها وأساليب معيشتها ونظرتها للقيم.

فإذا كانت الفلسفة بالمعنى التقليدي نابعة من تصورات المجتمعات الغربية وظروفها الثقافية ومراحل تطوراتها فلا يصح والحالة هذه أن توزن عقائد وثقافات وغيرها من الأمم بالميزان نفسه.

ونستطيع أن نضيف إلى ما سبق: مما يعيب الفكر الغربي بصفة عامة في نظرية لفلاسفة الشرق وحكمائه أمرين:

لهما: أن يتخذ حضارته محورًا ثابتًا من حوله يدور التاريخ متجاهلًا الحضارات الأخرى.

: وضعه الإطار التقليدي للفلسفة بمفهومها الغربي ثم المقارنة مع ألوان الفكر الإنساني الأخرى.

فهل من الضروري لاكتمال دائرة الفكر أن يتضمن طرقًا من علوم المنطق وما وراء الطبيعة والأخلاق والسياسة على النمط الذي صاغه فلاسفة اليونان، فإذا لم نعثر على هذا النمط من التفكير نزعنا عن صاحبه الأصالة والجدة؟.

على أننا نشارك الرأي القائل بأن الفلسفة – حتى لو تغاضينا عما تعبر عنه من أخطاء العقل وعثراته – لا تخرج عن كونها محاولة إنسانية لتفسير الحياة وتدبر الوجود وتأويل الواقع[1] ولذا فهي مهما حاولت لن تصيب الهدف الإنساني في تطلعه لمعرفة الغيب ومسائله، فضلًا عن عجزها لوضع أسلوب الحياة الأمثل لبني الإنسان.

---

(1) توفيق الطويل: أسس الفلسفة ص**15** .

ق:

في عرض راسل للموقفين المعاصرين إزاء اليونان يرى أنهما يتخذان اتجاهين متعارضين؛

ل: وهو الموقف الذي أوشك أن يكون عامًا منذ عصر النهضة الأوروبي حتى العصور الحديثة جدًّا فينظر إلى اليونان باحترام يكاد يبلغ حد الخرافة إذ بلغوا مرتبة النبوغ الخارق للطبيعة البشرية.

: الموقف الذي أوحت به انتفاضات العلم فيعتبر سلطان القدماء كابوسًا جاثمًا ويذهب إلى أن من الأفضل اليوم أن ننسى معظم ما أضافوه إلى عالم الفكر.

ويظهر من ثنايا عرضه أنه يميل إلى الاتجاه الأول مع اعتدال ملحوظ إذ يرى أنه مما يمتع خيال الإنسان ويحد من شر الجمود الفكري أن نتعلم كيف نتصور الكون كما يصوره لنا أحد هذه الأنظمة الفلسفية، ولاشك أن راسل بتقسيمه هذا يقصد بني قومه ولا يمتد إلى غيرهم.

أما نحن فلنا موقف آخر نستمده من الاتجاه الإسلامي السلفي الذي نظر إليهم من خلال الأصول العقدية للإسلام، وسنرى الإمتاع الفكري الحقيقي من تصور الكون وخلق الإنسان وباقي مسائل الغيب التي أتى بها الوحي، ولن نعرض في هذه الحالة إلا للجانب الديني عند كبار فلاسفتهم – سقراط، أفلاطون، أرسطو – إلا بالقدر الذي يخدم نظرتنا المقارنة لنعرف إلى أي مدى وصلت أفكارهم الدينية وهل عرفوا الخلق والبعث والثواب والعقاب وغيرها من أمور الغيب؟

ثم نتبعها بشرح لأسباب المعارضة العنيفة من جانب نظار السلف، وبيان عوامل الانحراف والضلال والعقم في الفكر الإغريقي عما جاء به الرسل والأنبياء وهم الرواد الوحيدون لهداية البشرية للحق لاسيما في المجالين الميتافيزيقي والأخلاقي لأنهم سفراء الوحي.

1- سقراط:

من استقراء حياة سقراط وفلسفته نجدها تتميز بسمات خاصة أو ربما كان أظهرها إعلانه أن لديه رسالة يود أداءها وكان يقول أثناء محاكمته «أنا لا أستطيع أن ألزم الصمت لأن الله أراد لي أن أتكلم وإن كنت أعرف أنكم لا تؤمنون بذلك ولذا فإنه سخر من القصص الخرافية التي تحاك حول الآلهة التي شاعت بسبب أساطير «الإلياذة» و«الأوديسة» فإنها تصور هؤلاء الآلهة في صراع مستمر ودنياهم كدنيا الناس ومبادؤهم الخلقية مقلوبة رأسًا على عقب.

ورفض سقراط ما ترويه هذه الملاحم عن الآلهة وعن شهواتهم وخصوماتهم وحروبهم وقيمهم الخلقية لأنه إذا صدق ذلك انهار الدين من أساسه، والقارئ لمحاورة فيدون يقف على رأيه في خلود النفس فالنفس عنده كانت لها حياة سابقة على هذه الحياة البشرية والموت باب تلجه (أي تدخله) فتمضي من الأرض إلى السماء.

ن:

عندما انتقلت العقيدة الأورفية إلى اليونان، فكأنما أوشكت الديانة اليونانية أن تبدأ المرحلة التي كانت الديانات في الشرق قد بلغتها فعلًا، ويذكر راسل أنها تميزت بطابعين جديدين على اليونان فهي:

: قد نظرت إلى الوحي على أنه تصور السلطة الدينية.

ا: هي جمعيات منظمة على أساس أنها جماعات غير طبيعية كما استمد أفلاطون من فيثاغورث العناصر الأورفية فظهر الاتجاه الديني في فلسفته لإيمانه بالخلود واعتقاده بحياة أخرى.

ومن مظاهر الطابع الديني في فلسفته تلك النظرة الثنائية بين المثل والأشياء المحسوسة بين التعقل والإدراك الحسي وبين الروح والجسد، وإيمانه العميق بخلود الروح حيث كانت تعيش قبل هبوطها إلى هذا العالم في صحبة الآلهة.

ولأفلاطون براهين على الألوهية إذ يبرهن على وجود الله بأنه علة فاعلة،

وعلة محركة، وعلة غائية – ولذا سمي في دوائر الفلسفة في العصر الأوربي الوسيط بأفلاطون الإلهي، وظهر أثره بصورة واضحة جدًّا في الفلسفة المسيحية واللاهوت المسيحي حتى القرن الثالث عشر الميلادي، إذ كانت أكثر اصطباغًا بالأفلاطونية منها بالأرسطية كما يذهب إلى ذلك أكثر مؤرخو الفلسفة.

:

وجاء أرسطو بجهوده العلمية في مجال الطبيعة والحيوان والنفس والمنطق والرياضيات، والأخلاق والسياسة حتى سمي بالمعلم الأول ولقيت فلسفته قبولًا تامًّا في دوائر الفكر – أو الدين المسيحي – إلى درجة تجعله يوشك أن يكون سلطة ثانية إلى جانب سلطة الكنيسة ولكنه عجز عن حل أزمة الفكر اليوناني المتصل بعقيدة الألوهية وسقط هذا العقل الممتاز في هاوية التخيلات والأوهام إذ قدم تفسيرات في العلم الإلهي إذا قورنت بجهوده في الميادين العلمية الأخرى، ظهرت وكأنها من نتاج مفكر آخر لا يمت إلى أرسطو بصلة، وربما من أسباب أخطائه في حديثه عن الألوهية هي انقطاع صلته ببقايا الرسالات التي ربما انتفع بها كل من سقراط وأفلاطون حيث استمدا أفكارهما من بقايا دين لقمان الحكيم بأرض الشام كما يذكر ابن تيمية.

ولعل أبرز أخطائه في حديثه عن الله أنه لم يتصوره خالقًا للكون، بل هو فقط محرك له لا يتحرك كما ينفي عنه علم الكون، إذ أن موضوع العقل الأسمى يجب أن يكون الموجود الأسمى فعلم الله إذًا عنده لا يتعلق إلا بذاته ووظيفته هي التأمل في ذاته ومشاهدة نفسه.

ثم امتد أثر أرسطو إلى أن احتضنه القديس توما الإكويني – ت **1274**م – وهو أكبر من وفقوا بين الفلسفة المشائية وقواعد العقيدة المسيحية فاتخذته الكنيسة الكاثوليكية مذهبها الرسمي حتى اليوم[1].

---

(1) توفيق الطويل: أسس الفلسفة ص**283** .

أما تأثيره في الفكر الإسلامي فلم يتعد دائرة الفلاسفة التقليديين ولذا فقد حوصر من جانب علماء أهل السنة والجماعة، وليس تكفير الغزالي للفلاسفة بخافٍ عنا، وفي دوائر السلف خاصة نبذت الفلسفة ولم يعترف بها.

يقول ابن تيمية في وصفه لأحد أصحاب التلفيق بين الشريعة والفكر الإغريقي وهو الكندي (وكان يعقوب بن إسحق الكندي فيلسوف الإسلامي في وقته، أعني الفيلسوف الذي في الإسلام، وإلا فليس الفلاسفة من المسلمين)[2].

ولم يكن هذا الحكم وليد تعصب كما يظن البعض، ولكنه صادر عن أفق رحب فاهم للأصول الإسلامية ومستوعب أيضًا للتصورات الغريبة عنها لاسيما عند معلمهم الأول وبمنهج المقارنة تظهر مزية الإسلام كأشد ما تكون.

يقول الأستاذ أبوالحسن الندوي: (وقد تأثرت فلسفتنا الإسلامية – مع الأسف – التي نشأت لمحاربة الفلسفة اليونانية الملحدة بنفس نزعتها، وهي البحث التفصيلي في قضايا ليس عند الإنسان مبادئها ومقدماتها، وتسربت إليها هذه الروح الفلسفية العاتية التي تتعدى حدودها ولا تعرف قدرها، فجاءت بالتدقيق والتقشير في مسائل الذات وتأويل الأسماء والصفات وتناولوه بالتشريح والتجزئة والتحليل كأنهم في معمل كيماوي، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا)[3].

في:

انتهينا من الإلمام بالجانب الديني في الفكر الإغريقي وظهر لنا أن أساطين فلاسفتهم لم يصلوا إلى يقين في العلم الإلهي فهم يتكلمون فيه كما يرى ابن

---

(2) ابن تيمية: فتاوى جـ**9** ص**186** .

(3) النبوة والأنبياء في ضوء القرآن ص**22** ط المختار الإسلامي **1383**م .

تيمية بالأحرى والأخلق أي: ليس معهم إلا الظن ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ [النجم:28] فإذا تتبعنا مسار التراث اليوناني وجدناه متجهًا صوب العصر الأوروبي الوسيط بعد انتشار المسيحية حيث استخدمت الفلسفة كأداة توفيق بين العقل والنقل، فكان القديس أوغسطين (ت 340م) يرى أن الإيمان يسبق التعقل، ويساعد عليه فالإيمان في رأيه يجعل العقل أقدر على كشف الحقيقة وأكثر تهيؤًا لقبولها واعتبر مؤسسًا للأفلاطونية المسيحية.

وأما القديس توما الإكويني – 1274م – فإنه يرى أن العقل وظيفته تهيئة النظر فيقودنا إلى الإيمان وبذلك أدار التفكير الفلسفي واللاهوتي حول أرسطو مؤسسًا بذلك الأرسطية المسيحية معارضًا المذهب الأوغسطيني[4].

واحتوت الفلسفة اليونانية بهذين التيارين الديانة المسيحية، فأثارت هذه الظاهرة مفكرًا من أبرز رجال الغرب المعاصرين ونعني به «أرنولد توينبي» الذي شخص هذا الداء بمشرط فيلسوف التاريخ المؤمن بدينه المشفق عليه من تيار الفلسفة، فذهب إلى أن التأثير المستمر لروح المسيحية لم يفقد سيطرته بعد على قلوب الرجال والنساء في الغرب، وذلك رغمًا من أن عقولهم قد تعرض عن العقيدة حيث ترجمت حقائق المسيحية الثابتة إلى اللغة الفانية «لغة الفلسفة الهلينية الوثنية»[5].

ب:

من الملاحظ أن إخفاق الفلاسفة لاسيما في مجال العلم الإلهي يرجع أول ما يرجع إلى جهلهم أو إنكارهم للوحي الذي كان يتوالى على البشر ليمدهم

---

(4) لويس غردية، قنواتي:
(فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية) جـ2 ص119 ، 147 ط دار العلم للملايين – بيروت 1967م .

(5) موجز تاريخ العالم جـ4 ص179 .

بحقائق عالم الغيب ويشبع تطلعهم الفطري للمعرفة ويأخذ بيدهم إلى طريق السعادة في الدارين وقد أخبر القرآن في غير موضع بأن الرسالة عمت بني آدم ولذلك فإن المردد لأقوال الفلاسفة لا يعظمها في أول الأمر أو مطلقًا إلا من لم يعرف حقيقة ما جاء به الرسول ﷺ ولم يقارن بين أباطيل الفلسفة وما تكلم عليه به القرآن الحكيم فإن في القرآن من الأخبار عن الغيب من الملائكة والجن والجنة والنار وغيرها ما لا يخفى على أحد بل الرسول إنما بعث ليخبرنا بالغيب والمؤمن من آمن بالغيب ولنشترك في التساؤل مع شيخ الإسلام: أنترك الكتب ونلجأ إلى أمثال أرسطو وذويه ومن أخذ برأيه وهؤلاء يرددون دعاوى مجردة بلا نقل صحيح ولا عقل صريح؟ .

وسنمضي قدمًا لندعم سلامة موقفنا بالأدلة والبراهين المشتملة على النقل الصحيح والعقل الصريح.

فقد ثبت عقم الفلسفة في أهم مباحثها وهو العلم الإلهي فالحق فيه قليل وغالبه علم بأحكام ذهنية لا حقائق خارجية إذ ينقصه الإيمان بالله واليوم الآخر وأحسن الفلاسفة حالًا من يقر بمعاد الأرواح دون الأجساد وإذا نظرنا إلى القسم النظري فإن أصح ما فيه العلوم الحسابية والرياضية وينقسم العلم العملي بدوره إلى الأخلاق وتدبير المنزل والسياسة وهذه العلوم نافعة وهي التي تميز القوم عن جهال بني آدم الذين ليس لهم كتاب منزل ولا نبي مرسل ففيها منفعة صلاح الدنيا وعمارتها ما هو داخل في ضمن ما جاءت به الرسل وفيها أيضًا من قول الحق واتباعه والأمر بالعدل والنهي عن الفساد ما هو داخل ضمن ما جاء به الرسل.

نفهم من هذا أن التصورات البشرية أيًّا كان مصدرها تتسم بالقصور وتعجز عن التوجيه الكامل لشئون الحياة والأحياء سواء في العقيدة أو السلوك أو الأنظمة الاجتماعية إذ لا تكتمل هذه كلها إلا بالدين ونحن نخص الإسلام بالذكر وهو المنهج المبرأ من عوامل العجز البشري لأنه من لدن عليم خبير

قوي قدير وأنه المنهج الشامل المتكامل المنبثق عن حقائق كونية أصيلة مستقلة الجذور.

:

يكاد يتفق مؤرخو الفلسفة على أن العلم لم ينهض في مطلع العصر الأوروبي الحديث إلا بعد الثورة المزدوجة على السلطة العلمية ممثلة في المنطق الأرسطي والسلطة الدينية ممثلة في رجال الكنيسة.

وعلى العكس من ذلك لم تقم الحضارة الإسلامية إلا بتحرر المسلمين من هذه القيود بفضل القرآن الذي وجه علماءهم ومفكريهم فقد فتح آفاقهم للنظر في الكون والأنفس والتاريخ وأمدهم بتقريرات كاملة عن الخالق جل شأنه وأوضح لهم منشأ الكون وبين لهم أصل الإنسان ومصيره كما حثهم على النهوض بأداء الرسالة التي نيطت ببني آدم ليصيروا جديرين بخلافة الله عز وجل في الأرض وفي هذه النقطة يكشف لنا محمد أقبال عن سبق المسلمين لمعرفة المنهج التجريبي بفضل القرآن الكريم مقارنًا بينه وبين روح ثقافة اليونان فإن فلسفة سقراط في رأيه مخالفة لروح القرآن لأن سقراط يقصر فلسفته على الإنسان بينما يحض القرآن الإنسان على النظر ويحثه على تأمل المخلوقات كلها من أضعفها وأضألها حجمًا كالنمل والعنكبوت والذباب مثلًا إلى الرياح المتعاقبة وفي تعاقب الليل والنهار والسحب والسماء ذات النجوم والكواكب السابحة في قضاء لا يتناهى كما يتضح أيضًا مخالفة فلسفة أفلاطون القائمة على القدح في الإدراك الحسي للمنهج القرآني لأن القرآن يعتبر السمع والبصر من أجلّ نعم الله على عباده ويصرح بأن الله جل وعلا سوف يسألهما في الآخرة عما فعلا في الحياة الدنيا.

ويستخلص فيلسوفنا بمنهجه المقارن نتيجة هامة إذ يقرر أن روح القرآن تتعارض في جوهرها مع تعاليم الفلسفة القديمة أو أي تصور فلسفي مشابه ثم يستطرد فيقول «وقد نجم عن إدراكهم هذا نوع من الثورة الفكرية لم يدرك أثرها الكامل إلى يومنا هذا».

وبيان ذلك على وجه التفصيل والتحليل إذا ما أخذنا في المقارنة بين روح القرآن وطبيعة ومنهج فلاسفة اليونان نلاحظ أن هذه الفلسفة امتازت بالتفكير المجرد وإغفال الواقع المحسوس فضلًا عن المناهج القاصرة التي اتبعها أساطين اليونان مثل سقراط وأفلاطون كما ذكرنا فإذا درسنا القرآن رأينا روحه تتجلى في النظرة الواقعية وتتعدد في مصادر المعرفة التي يمضي الإنسان على الاغتراف من معينها وهي على سبيل التحديد الأنفس والآفاق «أو الطبيعة» والتاريخ(6) للعبرة فهو يرى آيات الحق في الشمس والقمر وامتداد الظل واختلاف الليل والنهار واختلاف الألسنة والألوان وتداول الأيام بين الناس ويحث المسلم على الاعتبار بهذه الآيات ويصف الغافل عنها بأنه أصم وأعمى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلًا.

ونميل إلى الاعتقاد أنه استطاع التوصل إلى هذه النتيجة بعد قراءاته لعلماء المسلمين من السلف الواقفين بالمرصاد للفلسفة الإغريقية والمتأثرين بها من مفكري الإسلام ونخص بالذكر ابن تيمية حيث سمحت له قراءاته لبعض مؤلفاته أن ينوه بالدور الكبير الذي قام به في نقض المنطق الأرسطي نقضًا علميًّا منظمًا مشيرًا إلى كتابة «نقض المنطق» إذ بين فيه أن الاستقراء هو الطريقة الوحيدة الموصلة إلى اليقين وهكذا قام المنهج التجريبي القائل بأن الملاحظة والتجربة هما أساس العلم وأصله لا التفكير النظري المجرد.

ويبدو أنه لم يقرأ الكتاب الأهم في نقد ابن تيمية لمنطق أرسطو وهو كتاب «الرد على المنطقيين» ولكنه على أية حال وجه الأنظار إلى خطأ الزعم القائل بأن أوروبا هي التي استحدثت المنهج التجريبي.

كذلك «أثبت إقبال أن مولد الإسلام هو في حقيقته مولد العقل الاستدلالي مستندًا إلى أن النبوة بلغت كمالها الأخير ببعث الرسول ﷺ فاختتمت النبوة

(6) مشيرًا إلى قوله تعالى: ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ [إبراهيم:5] .

ويفسر ذلك بأن الإنسان ينبغي أن يترك ليعتمد على وسائله هو لتحصيل كمال معرفته لنفسه بعد أن اكتمل له التصور الكامل عن أصله ومصيره وغايته فيقول «إن إبطال الإسلام للرهبنة ووراثة الملك ومناشدة القرآن للعقل والتجربة على الدوام وإصراره على النظر في الكون والوقوف على أخبار الأولين كمصادر المعرفة الإنسانية كل ذلك صور مختلفة لفكرة انتهاء النبوة[7].

وهكذا لم يشتت رواد الحضارة الإسلامية جهودهم – اللهم إلا القلة من الفلاسفة الذين لا يعبرون عن هذه الحضارة – في البحث فيما وراء الطبيعة لأن الكلمة النهائية قد قيلت بالوحي الإلهي فعلى البشرية أن تنصت وتذعن وتصرف جهودها لأداء دورها وتحقيق ما ينفعها في الحال والمآل.

بقيت كلمة أخيرة بصدد آراء إقبال تتلخص في حديثه عن الصلاة باعتبارها طريقة خاصة خفيت على الفلاسفة عندما تطرقوا إلى نظرية المعرفة فالصلاة في الحقيقة تسمو عن مجرد الإدراك العقلي إذ يعقبها تأثيرات عضوية ذات طبيعة خاصة فهي في حقيقتها تجربة إنسانية حقيقية تزيد كثيرًا عن التأمل المجرد. صحيح أنها كالتأمل أيضًا لأنها فعل من أفعال التمثل ولكن التمثل في حالة الصلاة يتجمع مترابطًا فتحصل بذلك على قوة لا يعرفها التفكير المجرد والصلاة كما نعلم هي من آخر وصايا نبي الإسلام ﷺ في قوله: «الصلاة وما ملكت أيمانكم».

وبعد، هذا ما حدث للفكر الفلسفي فلننظر الآن في العقيدة في الإسلام إذ نجعل العقيدة بديلًا للفلسفة، ونتخذ من الوحي الإلهي سبيلًا للنجاة ونأخذ بالحكمة منهجًا لدعوة البشرية إلى طريق الحق.

---

(7) محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ص**144**.

العقيدة في الإسلام

معنى العقيدة أنها الأفكار الأساسية التي يجب على المؤمن بالدين أن يصدقها ويقبلها أي يعتقدها واللفظ مستحدث في العصر العباسي ولكن يجوز استخدامه لأن شيوخ السلف لم ينهوا عنه وهو يعني فصل العنصر العقلي وهو مضمون العقيدة عن العنصر النفسي، مع أن كليهما مجموع لفظ الإيمان يقول ابن تيمية: «والكلمة أصل العقيدة فإن الاعتقاد هو الكلمة التي يعتقدها[8] المرء فإذا ارتضينا هذا التعريف فإننا نرى أن العقيدة الصحيحة هي التي تحدد للإنسان مكانه الصحيح في الكون، وتسدد خطاه في الزمان والمكان حيث تحدد له وجهته الصائبة وترسم له طريقه المستقيم فيستقيم وجدانه وسلوكه ومشاعره وأعماله ومبادؤه وواقعه ويصبح كله كما ينبغي أن يكون وحدة متماسكة ومتكاملة متجهة الاتجاه الصحيح.

من هذا التعريف اتضح لنا أن الافتراض الزائف للثنائية بين العقل والإيمان لا يوجد في الإسلام وإنما هو وليد ظروف شهدها الصراع بين العقل والدين المسيحي كما رأينا وكانت النتيجة كما يصفها «رامبورانت»[9] فلسفة دينية لا هي فلسفة محضة ولا هي دين خالص ومثل هذا الإقرار يقدم لنا تعليل الموقف المعارض للفلسفة الذي ظهر في دائرة علماء السلف حيث اجتزأنا – مقتطفات منها عند كل من شيخ الإسلام ابن تيمية في القرن السابع والثامن الهجري، ومحمد إقبال في العصر الحديث، فدل على وحدة النتائج بالرغم من اختلاف العصرين، وهذا بدوره دليل وبرهان، على أن الاتفاق في المنهج يؤدي إلى نتائج واحدة.

---

(8) ابن تيمية: نقض المنطق ص**28**.

(9) موجز تاريخ العالم جـ**4** ص**179**م.

ام:

يصف الدكتور محمد حسين مكانة عالم الغيب في الإسلام بقوله:

(والإيمان بالغيب والتسليم بحدود الله هو الأساس الأول للدين لأن الدين إنما يوحد الجماعات عن طريق هذه المسلمات التي يتفقون عليها لا محالة، رغم اختلافهم في الأذواق، وتفاوتهم في الملكات، وفي أنماط الفكر ومناهجه، ونزعات النفوس وأهدافها، ولأن معرفة الإنسان محدودة بحدود كثيرة. هي محدودة بحكم طاقة الحواس التي يستمد منها المعرفة وهي محدودة بحكم الحيز الزماني الضئيل الذي يعيش فيه ويدركه، لا يعرف ما قبله ولا يعرف ما بعده. وهي محدودة بحكم الحيز المكاني التافه الذي يحيط به، والذي لا يعرف ما وراءه في آفاق الفضاء، بل في أعماق الأرض والبحار إلا حدسًا ورجمًا بالغيب)[10].

وقد لخصنا فيما تقدم إجمالي النقد الموجه لثمرات الفكر اليوناني استنادًا إلى الأصول الإسلامية حيث اتضح لنا قصور المنهج الفلسفي عن الوصول للحقيقة لاسيما في العلم الإلهي ولئن عالج بعض النظم والتوجيهات الإنسانية كالرياسة والأخلاق ومثلًا فإن الدارس للإسلام يعرف بأدنى جهد أنه يحتوي على ما هو أجل وأعظم.

وتفصيلًا لما أجملناه عند فلاسفة الغرب فإننا سنحاول عرض بعض ما أخبر به الرسل إذ أن مما اتفق عليه علماء المسلمين أنه يلزم الإيمان بجميع ما أخبروا به من الملائكة والأنبياء والكتب والبعث والقدر وغير ذلك من صفات الله وصفات اليوم الآخر كالصراط والميزان والجنة والنار ونحو ذلك.

---

(10) د. محمد حسين ص**13**، **14** اتجاهات هدامة في الفكر العربي المعاصر دار الإرشاد بيروت **1391**هـ - **1971**م.

وتظهر المعجزة القرآنية ضمن ما تظهر في توضيح هذه الحقائق التي لم يكن العرب على علم بها، وقد تضمنت حقائق مخالفة للأساطير التي كانوا يعتقدونها، وفرق بين الحقائق الغيبية والأساطير المنبثقة من تصورات بيئية يتلقفها المجتمع عن أسلافه جيلًا بعد جيل.

وكمقدمة للموضوع علينا أولًا الحديث عن الحكمة الإسلامية لبيان اختلافها الجذري عن الفكر الفلسفي مصدرًا ومنهجًا – فما هي الحكمة في الإسلام؟

تعددت الآيات القرآنية التي تناولت الحكمة منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة:**129**]، وقوله عز وجل: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء:**113**].

إلى غيرها من الآيات التي نستطيع من استقرائها أن نستدل على صلة الكتاب بالحكمة والكتاب هو القرآن والحكمة هي كما يذكر القرطبي المعرفة بالدين والفقه في التأويل والفهم الذي هو منحة ونور من الله الحكمة القضاء خاصة، ويشرح القرطبي ذلك فيقول والمعنى متقارب ونسب التعليم إلى النبي ﷺ من حيث هو يعطي الأمور التي ينظر فيها ويعلم طريق النظر بما يلقي إليه من الوحي.

ويكاد يتفق أغلب علماء المسلمين على أن الحكمة هي السنة أو أنها معرفة الحق وقوله والعمل به وفي آية أخرى ذكرت الحكمة وحدها في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة:**269**].

وهكذا نرى أن مصدر الحكمة إلهي وجاء ذكرها في القرآن الكريم مناطة بالرسل فهي ليست مستندة إلى تأمل عقلي مجرد وليست ضربًا من التخمين وأعمال الرأي بلا أساس أو مجرد خواطر إنسانية بلا ضوابط ولكنها فهم للكتاب وعمل به وهي بهذا التفسير تجمع بين الشرع والعقل فالعقل أن يجتهد ولكن بشرط احتكامه إلى أصول الشرع ولذا يدلنا الأصفهاني على طريقة الاستدلال على الحكمة فيرى أن الاهتداء للعلماء والحكماء هو توفيق الله تعالى العبد ليطلب بسعيه وجهده الحكمة فيتحصل له منها بقدر ما يتحمل من المشقة وقد أطلقت الحكمة أيضًا على الأخلاق وهذا ما أورده ابن كثير

في تفسيره بعد آية رقم **39** من سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِ﴾ ويفسرها ابن كثير كما رأينا بأنها الأخلاق الجميلة ويستطرد فيوضح أن المراد من هذا الخطاب الأمة بواسطة الرسول ﷺ فإنه صلوات الله عليه معصوم ونفهم من ذلك أن الأمة خاصة والبشرية عامة في حاجة إلى أن تهتدي إلى سلوك الأخلاق القويمة كحاجتها لمعرفة العقيدة الصحيحة ونصل من هذا إلى تعريف جامع لأحد العلماء المعاصرين حيث يرى أنها هي نور العلم والبصيرة وملكة التدبر والتأمل في الكتاب والفقه في الدين ومعرفة أصوله وأسراره[11].

مصدرها.

وجاءت الحكمة أيضًا كمنهج للإقناع والدعوة فإن الإسلام فضلًا عن ميزته الأولى الكامنة في مصدره الإلهي فإنه قائم في أصوله وفروعه على الأدلة والبراهين وله أسسه القويمة التي تدعمه في وجه أصحاب الجدل والحجاج ولذا فقد خط لنا القرآن المنهج في مخاطبة صنوف البشر في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل:**125**]، وهذه الوسائل تقابل في رأي ابن تيمية الأقيسة البرهانية والخطابية والجدلية بل هي أكمل منها من وجوه كثيرة فهي في القرآن تجمع بين العلم والعمل على أكمل وجه من وجوه كثيرة فإذا قسمنا المخاطبين طبقًا للمناهج التي وضعتها الآية لوجدنا أن منهم من هو صاحب حكمة أي يعترف بالحق ويتبعه أما الصنف الذي يعترف بالحق ولكن لا يعمل به فهو المحتاج للموعظة الحسنة والصنف الأخير يحتاج إلى الجدل بالتي هي أحسن لأن الجدل عادة يسبب الغضب والمشاحنة فإذا كان بالتي هي أحسن زال ضرره وبقيت منفعته على الوجه الأكمل[12].

---

(11) المودودي: الإسلام وتحديات العصر ص**147**.

(12) ابن تيمية: فتاوى جـ**2** ص**44**، **45**، المودودي: الإسلام وتحديات العصر.

الرسل والأنبياء

وها نحن أولاء أمام المكلفين بإبلاغ الكتب السماوية وتعليم الناس الحكمة ونعني بهم الرسل والأنبياء.

ولموضوع النبوات جوانب متعددة لن تخوض فيها إلا بقدر ما يتصل بإثبات أفضليتهم، ودورهم في هداية المجتمعات الإنسانية على مدى التاريخ مع حاجة البشرية الماسة للاهتداء بالنبوة في كل العصور والأزمنة وظهور حاجتها الآن بصور أكثر إلحاحًا من أي وقت مضى، ولا حجة لأحد في الجهل بهم، لأن الباحث عن الحقيقة سيعثر على آثارهم فقد مضى الرسل والأنبياء عليهم السلام، وظلت معجزاتهم ماثلة أمامنا، والأدلة على رسالاتهم ووجودهم باقية.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:9، 10].

وقال عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس:47].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:7].

إننا أمام أحوال المجتمعات المعاصرة المماثلة للعيان لا يسعنا إلا التأكيد على الحاجة الملحة للاهتداء بسبيل النبوة من جديد حيث ضلت البشرية طريقها حينما ظنت واهمة أنها تستطيع أن تستبدل بالرسل العلماء والفلاسفة والأدباء والمصلحين الاجتماعيين وقادة السياسة والحروب وغيرهم ممن حادوا عن الطريق المستقيم.

وفي هذا الصدد يرى الأستاذ أبوالحسن الندوي أن الجيل البشري لم يزل في تاريخه الطويل موضوع عبث العابثين من القادة والزعماء أو تجربة المجربين والمجازفين من المشرعين والحكماء وقد عبثوا بأبناء جنسهم وعقليتهم ومدنيتهم فجر كل ذلك على الإنسانية البائسة شقاء طويلًا وويلًا عظيمًا[13].

ويرجع ذلك أول ما يرجع إلى الجهل بقوانين العلاقات البشرية فقد ثبت العجز عن تحقيق السعادة بالرغم من التقدم الحضاري المادي الآخذ بالألباب وفي تحليل الأسباب يذكر أحد العلماء المتخصصين في الدراسات الطبية والنفسية المعاصرين وهو أليكس كارليل في كتابه «الإنسان ذلك المجهول» فيذكر عوامل – أو أسبابًا - متعددة نقتبس منها ما نراه ضروريًا لتوجيه الأنظار إلى مدى الوهم الذي نعيش فيه من جراء الظن بأن التقدم العلمي في مجال العلوم التجريبية كفيل بتحقيق السعادة التي يبحث عنها بنو البشر ويستند باحثنا على دراساته وأبحاثه العلمية وتجاربه الطويلة مع مرضاه التي استغرقت سنين طويلة فيخرج إلينا بنتائج ذات بال، منها أن الأطباء والمعلمين وعلماء الصحة لم يبلغوا هدفهم لأنهم يعالجون خططًا تشتمل على جزء فقط من الحقيقة الإنسانية ويرجع ذلك إلى تعقد ظاهرة الحياة نفسها ومن ثم حققت علوم الجماد تقدمًا عظيمًا بينما بقيت علوم البشر في حالة بدائية وحتى العلوم التي اصطلح بتسميتها العلوم الإنسانية كالاجتماع والاقتصاد فهي علوم افتراضية تخمينية ولم تفلح الأنظمة التي أنشأها أصحاب المذاهب في عقولهم إلا في تقديم مزيد من الضحايا دون تحقيق الأهداف التي رسموها في خيالاتهم فمبادئ الثورة الفرنسية وخيالات ماركس تنطبق فقط على الرجال الجامدين أي على تشخيص نظري للإنسان دون معرفة حقيقته

(13) الندوي: النبوة والأنبياء في ضوء القرآن ص**10**.

وجوهره ويخلص عالمنا من أحد أبحاثه إلى نتيجة تدعو إلى التأمل والنظر إذ يعترف بقوله:

إننا قوم تعساء لأننا ننحط أخلاقيًا وعقليًا فالجماعات والأمم التي بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم هي على وجه الدقة الجماعات والأمم الآخذة في الضعف والتي ستكون دعوتها إلى البربرية والهمجية أسرع عودة من غيرها إليها ويرى أن العلاج الوحيد الجائز لهذا الشر المستطير هو معرفة أكثر عمقًا بأنفسنا وهنا يظهر أهمية دور الرسل والأنبياء فنتساءل بدورنا ما الذي يمنع بني الإنسان من الانقياد للرواد الوحيدين المختصين بفهم أعماق النفس البشرية وهم أطباء النفوس، ونعني بهم الرسل بعامة وخاتمهم خاصة؟

والتعريف بالنبي يتناول مهمته ودوره والفرق بينه وبين الرسول فالنبي سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عباده لإزاحة عللهم في معاشهم ومعادهم.

(ورسوله) في لسان الشرع عبارة عن إنسان أنزل عليه شريعة من عند الله بطريق الوحي، فإذا أمر بتبليغها إلى الغير سمي رسولًا. والرسول من بعثه الله بشريعة مجردة يدعو الناس إليها والنبي أعم.

والنبي من النبوة وهي الرفعة.. أي المنبي عن الله بما تسكن إليه العقول الزاكية[14].

ا:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [غافر:49-50].

(14) الصنعاني: سبل السلام جـ1 ص9 ط الحلبي 1379هـ 1960م.

والأدلة كثيرة على صدق النبوة وقد سجل التاريخ بطريق التوازن أخبار الرسل والأنبياء في كل الأزمنة والعصور وتنوعت المصادر والوثائق عن أدوارهم ومهامهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن نقلة أخبار الأنبياء وأتباعهم أكثر عددًا من نقلة أخبار ملك الفرس والعرب في جاهليتها ونكتفي من بين المؤرخين المعاصرين بمؤرخ واحد هو ويلز الذي استند إلى الكتب المعروفة بأسفار الأنبياء التي تكاد تكون عنده أقدم الشواهد وأفضل الدلائل على ظهور صنف جديد في شئون الإنسانية هي زعامة الأنبياء وبتأريخه لسلطان الأنبياء المتزايد لم يقتصر على الشعب اليهودي بل مما أثار دهشة أن تعدد الأنبياء كان شيئًا يحدث في تلك الأيام في كل أرجاء الشرق فانتشرت بواسطتهم عقيدة وجود إله واحد عظيم في هذا العالم بأسره. ثم تعاقبت الأنبياء وفي النهاية ظهر عيسى ومحمد عليهما السلام وبالرغم من انفراد كل منهما بخصائصه المميزة يقول ويلز: فإن هذين المعلمين نشآ بطريقة ما على شاكلة هؤلاء الأنبياء السابقين[15]. ولكننا نضيف، أنه تفرد بدعوى العالمية فأرسل الرسائل في حياته إلى ملوك الأرض وعظماء الأمم، فانتهت دعوته لكل الأمم[16].

ونضيف إلى ما تقدم أن ما من برهان يثبت به نبوة أو رسول من الأنبياء والرسل إلا ونجده أشد وأقوى وأدل على نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ ودون خوض في تفاصيل سيرته إلا أن من الضروري بيان السمات الرئيسية التي تميز سيرته عن سائر الرسل لأنه آخر رسول للبشرية إلى قيام الساعة والسمات التي نعنيها هي:

أ- أن التاريخ الصحيح يؤيدها ويدل على صحتها.

---

(15) ويلز: معالم تاريخ الإنسانية – ترجمة عبدالعزيز جاويد، لجنة التأليف والترجمة والنشر 1948 المجلد الثاني ص259.

(16) المودودي: الحضارة الإسلامية ص189.

ب- أنها جامعة ومحيطة بمناحي الحياة كلها وجميع شؤونها وأطوارها.

جـ- أنها كاملة متسلسلة لا ينقصها أي حلقة من حلقات الحياة.

د- وهي عملية بحيث يعبر بها عن الفضائل والواجبات.

وفي حديثنا عن الرسالات نود الإشارة إلى الكتب التي أيدوا بها نبواتهم ومازال العالم يحتفظ ببقايا منها ولم يبق إلا الكتاب الأخير وهو القرآن كما أوحي به.

وما زالت أمة الإسلام تحتفظ فضلًا عن ميزة القرآن بميزة أخرى عن أهل الكتب الأخرى أي السند في رواية الحديث وبذلك احتفظت بنوع آخر من الوحي أي السنة وهو التسجيل الكامل للحياة الشخصية للرسول ﷺ بالأقوال والأعمال في جوانب السلوك الإنساني كله فنحن أمة السند يقول ابن تيمية: «وعلم الإسناد والرواية مما خص الله به أمة محمد ﷺ وجعله سلمًا إلى الدراية فأهل الكتاب لا إسناد لهم يؤثرون به المنقولات».

وبذلك حفظ الله تعالى للأمة الإسلامية عقيدتها وأصبح من واجب المسلمين القيام بدورهم المناط بهم إذ يقع على عاتقهم الدعوة لهذه الرسالة في العالم كله ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:**110**].

ويتضح للباحث التابع لأحداث التاريخ أن النزاع سيظل قائمًا بين الحق والباطل وبكلمة موجزة نقول: جاء الإسلام في الوقت الذي فشا فيه الباطل بأشكاله وصوره المختلفة وكان يتمثل إما في عقائد وثنية انحرفت عن الرسالات الإلهية الأصلية – كما اتضح لنا في مطلع دراستنا عند تناول الفكر الشرقي القديم – أو انحراف أهل الكتاب عن الشريعة الإلهية ونعني بهم اليهود والنصارى فقد أعلن اليهود العصيان لنبي الله عيسى عليه السلام وآذوه وانطوت النصرانية كما رأينا تحت جناح الفلسفة اليونانية.

وهكذا يمر الناس الآن بنفس الظروف تقريبًا فالمطلع على أحوال البشر يلاحظ ما يعانيه من حيرة وقلق واضطراب لسبب جوهري هو شيوع الباطل وربما بنفس أشكاله فإذا شخصنا الأمراض التي تعاني منها المجتمعات الإنسانية المعاصرة فإنها لا تخرج في أساسها عن الشرود عن طريق الحق.

وما زال الاختيار قائمًا بين طريق الحق الذي جاء به الإسلام أو أن يظل بنو آدم في غيهم يعمهون.

ولهذا كله جاء القرآن الكريم وسيظل يذكرنا في كل آن بالعقيدة الصحيحة في الإيمان بالله واليوم الآخر وتعريف الإنسان بأصله ومكانته في الوجود والغاية من خلقه ودوره في الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:**59**] وقال عز من قائل: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:**26**، **27**].

وقد آمن المسلمون الأوائل بالحقائق الغيبية واستقرت في عقولهم وقلوبهم وهم أهل أفضل القرون كما ورد في الحديث وكان هناك إجماع على صحة فهمهم وظل الأمر كذلك في العصور المفضلة في تاريخ الإسلام وقبل عصر الترجمة ومعرفة المسلمين لأية ثقافات أخرى فارسية أو يونانية أو غيرهما وما زال هذا التيار السلفي الذي يربط المسلمين بالفهم الصحيح للإسلام مازال قائمًا تربطه بالمصادر الإسلامية أي الكتاب والسنة وفهم السلف وشائج قوية فأصبح كالصخرة في الرسوخ والثبات إذ تنحسر عنها التيارات المنحرفة عن العقيدة الإسلامية الصحيحة فقد نبذ السلف كما هو معلوم كل الثقافات الطارئة من الأمم الأخرى التي تتعارض مع العقيدة الإسلامية الصحيحة.

ولم لا يفعلون؟ وقد أراهم الله تعالى الآيات في الآفاق وفي أنفسهم حتى تبين لهم أنما قاله هو الحق.

:

يؤكد جمهرة المحدثين من الفلاسفة أن الفلسفة وهي قالب الفكر الذي ارتضاه عالم الغرب لنفسه – لم تعد مجرد تأمل يستغرق صاحبه في عزلة عن صخب الحياة بل أصبحت دراسة للوجود ومكان الإنسان منه توطئة للإفادة منها في تجاربنا المشتركة والترقي بمستواها والعلم بأهداف البشرية البعيدة ومثلها العليا والمساهمة في العمل على تحقيقها[17].

فإذا كان الأمر كذلك وفي ضوء الأزمة التي تعاني منها الحضارة الغربية المستمدة من فلسفتها، فإننا نرى أن الفلسفة قد تنحت عن أداء دورها التقليدي، ولهذا فقد أصبح من الضروري أن تخلي مكانها لمنهاج آخر يستند على دعامتين أساسيتين هما العقل والوحي، للتعريف بالوجود كله بشقيه أي عالم الغيب وعالم الشهادة، ومكانة الإنسان ودوره ومصيره مع الأخذ بيده لتوجيهه إلى الطريق الصحيح في هذه الحياة.

ولعل تفسير ابن خلدون عن تقليد الأمم الغالبة يوضح لنا جانبًا من الأزمة التي انتقلت إلينا من الغرب المستعمر، إذ يعاني العالم الإسلامي من آثار الفلسفة الغربية ونظامها الشيوعي والرأسمالي – ومن ثم أصبح المسلم المعاصر بين أفكار وفلسفات تمتد سيطرتها على أغلب أجزاء المعمورة، لا باقتصادها أو قواتها العسكرية فحسب، ولكن أصبح واقعًا تحت تأثير عقائد وأفكار ونظريات تغزوه في عقر داره حيث مكنت وسائل الاتصال السريع في عالم اليوم، وأجهزة الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفاز ووكالات أنباء وطباعة متقدمة، مكنت كل هذه الوسائل من الضغط الشديد على العقيدة والأخلاق والأنظمة المختلفة في حقول التربية والتعليم والاقتصاد والسياسة وغيرها.

---

(17) د. توفيق الطويل: أسس الفلسفة ص**129**.

والمسلم أمام أمرين لا ثالث لهما: إما التثبت بعقيدته للنجاة من حملات الغزو أو الاستسلام لها وإلقاء سلاح المقاومة فيجرفه التيار إذ يمشي مع السائرين على درب لحضارة الغربية بفلسفاتها وأخلاقياتها وأنماط حياتها، ولا يبقى له من عقيدته – إن بقيت آثارها في نفسه – إلا ظلالًا باهتة لن تنقذه من المصير المحتوم.

ولهذا ليس أمامه إلا العض بالنواجذ على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والحق أن المتدبر للقرآن الحكيم يستطيع أن يدرك أن الفكر الفلسفي في كل العصور لاسيما فيما يتصل بالحقائق الغيبية لا يتعدى كونه ضربًا من الظنون وأن الظن لا يغني من الحق شيئًا.

ومما يدعو لتثبيت المسلم أيضًا أنه يتلو القرآن قاعدًا وقائمًا وعلى جنبيه فيستلهم آيات الآفاق والأنفس ويعرف كثيرًا عن المخلوقات في بدايتها وإلى أين تصير وكذلك يقرأ من كتاب الله – بل هو المشروع طبقًا للسنة أن يقرأ في ركعتي الفجر صباح يوم الجمعة بسورتي السجدة والإنسان وفيهما بيان حقائق خلق السموات والأرض وخلق الإنسان[18].

ومع تقديرنا للعقل الإنساني إلا أن له دورًا محدودًا، فكما أن العين لا ترى إلا مع ظهور النور أمامها فكذلك نور العقل لا يهتدي إلا إذا طلعت عليه الشمس الرسالة، ويظهر ذلك جيدًا إذا تناولنا في حديثنا موضوع العلم الإلهي بصفة خاصة.

:

العلم الإلهي هو العلم الأعلى والأول بالإطلاق فإن الله سبحانه هو الأعلى وهو الأكبر ولهذا كان شعار أهل أكمل الملل هو «الله أكبر» في صلواتهم وآذانهم وأعيادهم وجهادهم.

---

(18) قال ابن القيم: لتضمنهما ابتداء خلق السموات والأرض وابتداء خلق الإنسان إلى أن يدخل الجنة أو النار ص**133**.

أما الفكر الفلسفي فقد أخطأ عندما لجأ إلى العقل لاستمداد التصورات في العلم الإلهي وسبب الخطأ يرجع إلى جعل العقل في موضع الأصل والعكس هو الصحيح أي أنه ما دام الإنسان مخلوق مربوب مصنوع، فإنه ينبغي عليه الرجوع إلى خالقه وفاطره وصانعه طالبًا العلم والعمل لأن هذا الترتيب هو الموافق للحقيقة وهذه الطريقة أي تقديم الأصل على الفرع هي الموافقة لفطرة الله وخلقته ولكتابه وسنته.

وإذا تقيدنا بتعريف العلم الإلهي عند شيخ الإسلام ابن تيمية فإنه يعني العلم بالله العمل له وهو فطري ضروري وأنه أشد رسوخًا في النفس من مبدأي العلم الطبيعي والرياضي فالقول مثلًا بأن الواحد نصف الاثنين أو أن الجسم لا يكون في مكانين في وقت واحد فإن هذين النوعين من المعرفة المتصلين بالعلمين الطبيعي والرياضي قد تعرض عنها أكثر الفطر وأما العلم الإلهي فما يتصور أن تعرض عنه فطره، وهي الفطرة التي فطر الإنسان عليها ثم تزداد رسوخًا مع النظر في الآيات.

وقد أظهرت أبحاث العلماء المعاصرين ثبوت دليل الفطرة إذ كشفت عن التشابه الغريب بين عقائد القبائل البدائية في القارات الخمس وانقسم المفسرون لهذه الظاهرة إلى فريقين – فريق يرى أن الإنسان تلقى إلهامًا بالوحدانية قبل التاريخ وقبل الأجناس والقارات – وفريق يرى أن الطبيعة الإنسانية تتقارب في وحي البديهة وتستلهم شعورًا واحدًا بما وراء المادة المشهودة.

:

جعل الإسلام الإيمان بالملائكة أيضًا أصلًا من أصول الإيمان، وأول ما يتبادر للذهن هو توضيح حقيقة الملائكة التي أشاعت حولها المذاهب الفلسفية والأديان الأخرى الأباطيل، فإنها عند بعضها معبودات وآلهة أو أرباب ينوبون عن الله ويساعدونه في تسيير نظام الكون، وعند البعض مجرد

عقول، وزعم البعض مجرد عقول، وزعم البعض أنهم بنات الله، أو أنهم شركاء الله في الألوهية والربوبية. وإزاء كل هذه المزاعم الخاطئة جاء القرآن بالتصور الصحيح للملائكة[19].

أما عن منزلة الملائكة في نظام الكون فقد بينها القرآن وفصل القول فيها تأكيدًا لدعوة الإسلام إلى التوحيد الخالص الكامل في وجود الله تعالى وصفاته وأفعاله، ومن ثم فليس للملائكة إلا الطاعة والعبادة والتسبيح والتقديس، فلا يغفلون عن وظيفتهم ولا يفترون عنها ولا للحظة واحدة في الليل والنهار، قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء:19-20]، ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم:6]، إنهم مأمورون بأداء الأعمال التي نيطت بهم كالنزول بالوحي الإلهي على الرسل والأنبياء ونفخ الروح في الجنين وقبض الأرواح عند الموت وإنزال المطر وتسجيل أعمال الإنسان، وكل هذه الأعمال لا تخضع إلا لأمر الله تعالى وحده، فليست لهم أية فاعلية مستقلة – ولذا وصفهم الله بقوله ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرًا﴾ [النازعات:5][20].

ويكفينا هذا القدر من الحديث عن الملائكة من جهة واحدة حيث عنينا بتوضيح حقيقتهم للرد على الآراء الفلسفية والنحل الأخرى التي ذهبت مذاهب شتى فحادت عن طريق الصواب وكذلك سنعني أيضًا بالكلام عن الإيمان باليوم الآخر لصلته بالتصور الصحيح للحياة بشقيها: الدنيا والآخرة. ولكن مسائل الإيمان – بعد الإيمان بالله تعالى – ليست محصورة في هاتين المسألتين كما نعلم، حيث أورد القرآن الحكيم كل ما يتصل بالإيمان في آيات متعددة.

---

(19) المودودي: الحضارة الإسلامية ص160.

(20) المودودي: الحضارة الإسلامية ص160.

فقد قيل في موضع ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت:30] وفي موضع آخر ذكر الإيمان بالله مع الإيمان باليوم الآخر: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة:63]، وفي موضع ثالث وردت الدعوة إلى الإيمان بالرسل مع الإيمان بالله ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:179]. وفي موضع آخر ذكر الإيمان بالله مع الإيمان بالكتب الإلهية والقرآن واليوم الآخر ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [النساء:162]، وقيل في سورة البقرة ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ...﴾ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:177]، وكذلك حديث جبريل عليه السلام عن الإيمان.

آخر:

لاشك أن الإيمان بالغيب من الأمور التي أتى بها الرسول ﷺ وأخبر عن الغيب المطلق الذي تعجز العقول عن معرفته[21] وأكدها بالأدلة والأحاديث النبوية زاخرة ومنها اليوم الآخر وما سيدور في هذا اليوم، ومن الضروري أيضًا التنبه إلى أهمية الإيمان باليوم الآخر لانعكاس أثر ذلك على حياة الأفراد والمجتمعات فالفرق كبير بين إنسان يؤمن بالبعث والحساب والعقاب في الدار الآخرة وإنسان آخر لا يؤمن بذلك كله ولا يتصوره هذا فضلًا عن تأثير هذا الاعتقاد على الأعمال والسلوك في شتى جوانب الحياة الإنسانية في هذه الدنيا، ونود في هذا المجال أن نلجأ إلى العلم التجريبي لكي نثبت بالأدلة أن فتوحات هذا العلم جاءت مؤيدة لعقيدة الإسلام في اليوم الآخر – ولن نتوسع

(21) ابن تيمية: جواب أهل العلم والإيمان ص123، دار الكتب العلمية – بيروت 94هـ - 74م.

في دراستنا إلا بالقدر اليسير الذي يحقق لنا هذه الغاية فهناك من الظواهر ما يؤكد مجيء هذا اليوم طالت مدة انتظاره أم قصرت، وعلى سبيل المثال نذكر الظواهر الآتية:

1- ظاهرة البراكين.

2- ما اتفق عليه العلماء من ضرورة وجود الأثير حيث تسجل فيه الأقوال ولا تنمحي فضلًا عن تسجيل الأعمال كلها بالموجات الحرارية الصادرة من الأجسام.

وبشيء من التفصيل اليسير سنعرف أن الزلازل ليست إلا نذير يذكر الإنسان بأنه يعيش دائمًا فوق نار متأججة لا يملك إزاءها شيئًا ولا يفصلها عنه سوى قشرة لا يزيد سمكها عن **50**كم وهي بالنسبة للكرة الأرضية ثمرة التفاح يقول عالم الجغرافيا جورج جاموف: (إن جهنم طبيعية تلتهب تحت بحارنا الزرقاء ومدننا الحضارية المكتظة بالسكان وبكلمة أخرى نحن واقفون على ظهر لغم أي ديناميت عظيم ومن الممكن أن ينفجر في أي وقت ليدمر النظام الأرضي بأكمله).

كذلك أقوال الإنسان محفوظة فقد ثبت قطعيًا أن الموجات الحاملة للأصوات تبقى كما هي في الأثير إلى الأبد وسلم العلماء نظريًا بإمكان إيجاد آلة التقاط أصوات الزمن الغابر كما يلتقط المذياع الأصوات التي تذيعها محطات الإرسال ولأمكن حينئذ سماع تاريخ كل عصر وزمان بأصواته ومن هنا لا تبقى حقيقة الآخرة بعيدة عن القياس ولذا نقول: أن كل ما ينطبق به الإنسان يسجل وهو محاسب عليه يوم الحساب ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

ويستمر العلم الحديث في خطواته ليؤكد لنا أن جميع أعمالنا التي نباشرها في الضوء أم في الظلام في حالة الصور فقد أثبتت البحوث أنه يصدر عن كل

الموجودات حرارة بصفة دائمة في كل مكان وفي كل الأحوال وأمكن تصوير الموجات الحرارية بآلات تصوير دقيقة[22].

والمغزى المعتبر من هذا الاختراع هو إثبات أن جميع تحركاتنا تسجل على شاشة الكون حيث لا يسعنا منعها أو الهرب منها لأنها أشبه بقصة تصور في الاستديوهات ثم نشاهدها على شاشة السينما بعد حقب طويلة من الزمن وحينئذ يصرخ الناس ﴿يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾ [الكهف:**49**].

ونود بعد ذلك الإشارة بإيجاز إلى بيان وجهة النظر الإسلامية بمنهج انتقائي.

:

إن الحديث عن الإنسان مستفيض لخصائصه الفريدة وقدراته ومواهبه حتى ليتكاتف عليه الأطباء وعلماء النفس ورجال التربية ورواد الأخلاق وغيرهم فلا يحيطون به علمًا، ومادام الأمر كذلك فيكفينا التنسيق بين بعض الأفكار التي تدور حول هذا الكائن الفذ، والحق أن المكتبة الإسلامية زاخرة بتراث ضخم سنلتقط منها بعض الكلمات التي تصور الإنسان في ناحيتين؛ أحدهما الناحية الميتافيزيقية، والثانية الناحية الأخلاقية.

:

إن المصدر الوحيد الذي يمدنا بحقائق مؤكدة عن خلق الإنسان ومكانته وغايته هو القرآن الحكيم، ولذا عني مفكرو الإسلام باستمداد نظرتهم من القرآن مباشرة.

مثال ذلك ما كتبه ابن تيمية في تفسيره لبعض الآيات القرآنية في هذا المجال مثال قوله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ وقوله عز وجل:

---

(22) وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى ص**73**.

﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾ فأصل الإنسان التراب وفصله الماء وهنا تظهر القدرة الإلهية التي تبهر العقول وهو أن يقلب حقائق الموجودات فيحيلها من شيء إلى آخر فإذا خلق الله الإنسان من المني فالمني استحال، وصار علقة، والعلقة استحالت وصارت مضغة، والمضغة استحالت إلى عظام وغير عظام إذا فالإنسان مخلوق خلقة الله جواهره وأعراضه – كلها من المني أي من مادة استحالت فهي ليست مادة باقية أحدث الله فيها صورة الإنسان كما يزعم الفلاسفة[23].

وعن الموت والبعث يذكر ابن تيمية أنه عند إفناء الإنسان إذا مات وصار ترابًا فني وعدم كما يفني سائر ما على الأرض لقوله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾ ثم يعيده من التراب كما خلقه ابتداء من التراب ويخلقه خلقًا جديدًا ولكن للنشأة الثانية أحكام وصفات ليست للأولى.

ويقدم لنا الأصفهاني[24] نظرة أخرى فيذكر أن الإنسان مركب من بدن محسوس وروح معقول مستندًا إلى قوله تعالى: ﴿أني خالق بشرًا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ فالروح هي النفس ويرى أن إضافتها إلى الله تعالى تشريفًا لها.

وللإنسان عنده ثلاثة أفعال تختص به وهي:

أ- عمارة الأرض في قوله تعالى: ﴿واستعمركم فيها﴾ لتحصيل المعاش لنفسه ولغيره.

ب- الامتثال لله سبحانه وتعالى في عبادته وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه في قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

جـ- وخلافته المذكور في قوله تعالى: ﴿ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعلمون﴾.

---

(23) ابن تيمية: فتاوى شيخ الإسلام.

(24) الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة. (متوفى **502**هـ).

ولا يصلح لخلافة الله ولا يكمل لعبادته وعمارة أرضه إلا من كان طاهر النفس ويتم تطهيرها بوسيلتين هما:

1- العلم. **2**- والعبادات.

والعبادة – كما يعرفها – (فعل اختياري مناف للشهوات البدنية تصدر عن نية يراد بها التقرب إلى الله تعالى طاعة للشريعة)[25].

أما دورها فهو المحافظة على الفطرة التي خلق بها الإنسان المشار إليها بقوله تعالى: ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ فالعبادة تزيل رين القلب فينطبع فيه صورة الهداية كما ترتفع العبادة إلى أرقى مراتبها عندما يؤديها الإنسان متحريًا ابتغاء مرضات الله فيؤديها بانشراح صدر بدلًا من مجاهدة النفس، ولهذا قيل في الأثر: «إن استطعت أن تعمل لله في الرضا فاعمل وإلا ففي الصبر على ما تكره خير كثير».

:

إذا تقيدنا بالتصور الأخلاقي عند ابن تيمية فإننا نلاحظ ما يراه من حركة الإنسان نحو غاية فتعريفه للإنسان أنه «حي حساس متحرك بالإرادة» فله إرادة دائمًا أما الغاية فهي تتعدد وتتخذ صورًا مختلفة أما المال أو الجاه أو الرئاسة أو محبة الرجل للمرأة والمرأة للرجل وغير ذلك من الأمور المطلوبة للدنيا، أما كمال الإنسان فيتحقق في أن يكون مراده هو الله سبحانه وتعالى لأن من لم يكن عبدًا لله فلابد أن يصبح عبدًا لغيره من أنواع المحبوبات التي تستعبده بخلاف الإنسان المؤمن فإن المثل الأعلى لسلوكه هو أن يكون مراده هو الإله الذي يستحق أن يكون محبوبًا لذاته فالنفس في حاجة إلى الله من حيث هو معبودها ومحبوبها ومنتهى مرادها ومن حيث هو ربها وخالقها.

والخلق كلهم محتاجون إلى خالقهم لكن يظن أحدهم نوع استغناء فيطغى كما قال تعالى: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ وقال في آية أخرى:

---

(25) الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة ص**152**.

﴿إذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونآ بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض﴾ وقال في غيرها ﴿كان يؤوسًا﴾.

أما الراغب الأصفهاني – ت **502**هـ تقريبًا – فيرى أن الإنسان في دنياه مسافر متخذًا الدليل على ذلك الخلق قال تعالى: ﴿وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾.

ويستشهد بعبارة علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الناس على سفر والدنيا دار ممر لا دار مقر وبطن أمه سفره والآخرة مقصده» الخ.

فالغاية للإنسان ينبغي أن تكون دار السلام ويحتاج في سفره إلى التزود للسفر وهو في كدح وكبد ما لم ينته إلى دار القرار كما قال تعالى: ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه﴾ ويحتاج الإنسان في سعيه إلى خمسة أشياء:

1- معرفة المعبود المشار إليه بقوله: ﴿ففروا إلى الله﴾.

2- معرفة الطريق المشار إليه بقوله: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة﴾.

3- وتحصيل الزاد المشار إليه بقوله: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾.

4- المجاهدة.

5- وبهذه الوسائل يأمن الغرور الذي خوفه الله تعالى منه في قوله: ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾[26].

ولا يخرج ابن تيمية كثيرًا عن الإطار الذي سبقه إليه الأصفهاني إذ يصور لنا الإنسان في حركة مستمرة لكي يتخلص من العوائق التي تحول بينه وبين الوصول إلى غايته ولفظ الوصول لفظ مجمل لأنه ما من سالك إلا وله غاية وإذا قيل وصل إلى الله أو إلى توحيده ومعرفته أو نحو ذلك ففي ذلك من

---

(26) الراغب الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة ص**78**.

الأنواع والدرجات المتباينة ما لا يحصيه إلا الله والإنسان في حاجة إلى التوبة الدائمة أثناء حركته نحو ربه فيصل إلى أفضل ما في الدنيا ولا يتم ذلك إلا بالعبادات المشروعة لأن الإسلام يقوم على أصلين هما:

1- أن يعبد الله وحده.

2- وأن يعبد بما شرع ولا يعبد بالبدع.

أظهر ما في العبادة اثنان؛ الصلاة: التي هي قوت القلوب والجهاد وهدفه جعل كلمة الله هي العليا ويدل على كمال المحبة لأنه البذل في سبيل ما يرضي الرب، وهو أنفع من كل عمل، لأنه مشتمل على محبة الله تعالى، والإخلاص له، والتوكل عليه، وتسليم النفس والمال له، والقائم به من الشخص والأمة بين إحدى الحسنيين دائمًا، إما النصر والظفر وإما الشهادة والجنة، وكلاهما هدف سام يحقق السعادة في الدنيا والآخرة وبالعكس، ففي تركه ذهب السعادتين أو نقصهما وإذا كان من الناس من يرغب في ترقية نفسه حتى يصادفه الموت فعليه بالجهاد بالمال والنفس (فموت الشهيد أيسر من كل ميتة، وهي أفضل الميتات)[27].

ويوضح لنا ابن تيمية أيضًا حركة الإنسان نحو الكمال مفسرًا التقدم والأفضلية بالمفهوم الإسلامي حيث يظهر الفضل الكامل لبني آدم في دار القرار تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾. وهكذا فإن الارتقاء في جوهره أخلاقي بحيث يصل الإنسان حينئذ إلى مستوى أفضل من الملائكة فلا يظهر فضل الإنسان في ابتداء أحواله وإنما يظهر فضله عند كمال أحواله وليس أدل على ذلك من ثبات أحوال الملك الذي يتشابه أول مره وآخره فالقاعدة الأساسية إذن إذا تكلمنا عن الرقي الإنساني وتقدمه الحضاري يكمن في رقيه الأخلاقي

---

(27) ابن تيمية: السياسة الشرعية ص132، ط دار الكتاب العربي 1951م.

وسبيله إلى ذلك الحرية بالمفهوم الإسلامي وهي تعني تحرير الإرادة الإنسانية من سلطان الهوى والشهوات والسمو بالغرائز وتهذيبها خضوعًا لأوامر الله عز وجل لأن الخضوع لها خبط عشواء – كما يتوهم كثير من مفكري العصر الحديث – يعني في حقيقته انقيادًا لقوة عمياء واستعبادًا للإرادة لا تحررها.

أما الحرية الحقيقية فهي تحرير هذه الإرادة من سلطان الهوى ونفوذ الشهوات، فإن القلب – الذي هو ملك الجسم – يصبح ذليلًا أسيرًا إذا كان مستعبدًا، متيمًا لغير الله. ولشيخ الإسلام تفسير منفرد للحرية في الإسلام، يقول (وهذا لعمرو الله إذا كان قد استعبد قلبه صورة مباحة. فأما من استعبد قلبه صورة محرمة. فهذا هو العذاب الذي لا يدانيه عذاب. وهؤلاء عشاق الصور، من أعظم الناس عذابًا وأقلهم ثوابًا)[28] ثم يقرر أن الحرية حرية القلب والعبودية عبودية القلب كما أن الغنى غنى النفس مستندًا إلى الحديث (ليس الغنى عن كثرة العرض، وإنما الغنى غنى النفس)[29].

وليس هذا فرضًا نظريًّا ولكن يدعمه شيخ الإسلام بحقيقة مؤكدة إذ يستطيع الإنسان بعمله الوصول إلى المستوى الرفيع إذ ظهرت أرقى مراتب الكمال الإنساني في الأنبياء عليهم السلام وفي مقدمتهم نبينا محمد ﷺ حيث ظهر فضله على الملائكة ليلة المعراج لما صار لمستوى يسمع فيه صرير الأقلام وعلا على مقامات الملائكة.

أما الحديث عن موقف الإنسان المسلم في العصر الحاضر فيقتضي التمهيد بنبذه عند اتجاهات هذا الفكر:

---

(28) ابن تيمية: السياسة الشرعية ص**132** ط دار الكتاب العربي سنة **1951**م.

(29) رواه الشيخان.

امح اتجاهات الفكر المعاصر:

قد لا يختلف اثنان أننا نعيش في جو حضاري غربي يسيطر على أغلب أنحاء العالم ويتسلط عليه بأفكاره وفلسفاته ومن أدق ما قيل في وصف الحضارة المعاصرة أنها تبني صروحًا في الخارج من شوارع فسيحة وعمارات ضخمة وناطحات سحاب ومصانع هائلة ومنتجات لا نهائية ونظم إدارية[30] ولكن هذه المظاهرة الخارجية لا ينبغي أن تحول اتجاهنا لدراسة دوافعها وأسسها التي تتمثل في فلسفة الغرب بعامة. فإن الأفعال كما نعلم هي في معظم الأحيان مجرد ثمرات لمجموعة من الأفكار، وأنه لا قيام لأية حضارة بدون دعائم فكرية تستند إليها، وربما استطعنا في هذه الدراسة أن نلقي الضوء على أبرز الاتجاهات السائدة في الفلسفة الغربية وتظهر كالآتي:

: المادية كما تظهر في تصور الماركسية، فالوجود مادي، وكذلك الإنسان مجرد مادة أي جسد ولا قيمة له كفرد، ولكن المجتمع هو السيد والفرد كالآلة في مصنع ضخم فإن تحقيق المذهب يستلزم إخضاع الفرد للدولة في جميع الشئون وخنق كل حرية فكرية[31] ويتحدد غرض الإنسان في الحياة في إشباع حاجاته المادية وصولًا إلى المجتمع الشيوعي حيث يتساوى فيه البشر جميعًا في الحقوق والواجبات، ومن ثم يلغي الجهاز الحكومي عند تحقيق هدف الفلسفة الماركسية، وهي كما نرى تقوم ضمن أفكارها على تصور الإنسان مجرد غرائز ودوافع حيث ينطلق كالحيوان لإشباع حاجاته خاضعًا خضوعًا

---

(30) محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق ص**47**.

(31) وكل من يظهر رأيًا مخالفًا للحزب يلقي به في السجون ومعسكرات العمل الإجباري والمصحات العقلية ويواجه بتهمة الخيانة والعمالة وقد ازدادت ظاهرة نفي العلماء والأدباء والفلاسفة المعارضين للنظام الشيوعي خارج البلاد، وأشهرهم عالم الرياضة بليوشتن، والكتاب سولجنيتسين والمؤرخ أندريه أما لريك مؤلف كتاب (هل يصمد الاتحاد السوفيتي حتى سنة **1984**؟). ويوكوفسكي الذي جمع آراءه في كتاب (مرض عقلي جديد اسمه المعارضة).

تامًا لما تمليه عليه أهداف المجتمع وغاياته ممثلة في تنفيذ مخطط مرسوم بواسطة أعلى سلطة في الحزب الشيوعي الحاكم ولا يسمح لرأي ثان بالظهور وإلا اعتبر خارجًا عن النظام العام وفلسفة الحزب ومن ثم يستحق الإبعاد والنفي[32]. والحق أن المذهب المادي في تفسير الوجود – والماركسية أحد صوره الحديثة – مذهب قديم قدم الفلسفة حيث ظهر في المحاولات الأولى التي أراد بها فلاسفة الإغريق في الطبيعة أن يفسروا الوجود برده إلى الماء والهواء أو غيره من العناصر ثم تحول على يد ديموقريطس إلى فلسفة الجواهر المفردة أو الذرات حيث ينشأ عن حركتها اجتماع لبعضها البعض على صور شتى، فتتكون الأشياء بتكوينها وتفسد وتنحل بانفصال الجواهر، وامتد تفسيره إلى النفس أيضًا فادعى بأنها تتألف من هذه الجواهر المادية[33] ونحن نؤيد وجهة النظر القائلة بأن الثقافة الروسية وفلسفتها ليست إلا امتدادًا للحضارة الغربية إذ تتشابهان من حيث التخلي عن شخصية الإنسان الروحية وفضائله الأخلاقية[34].

ا: كذلك لا تخرج الحضارة الغربية كونها إرثًا للحضارة اليونانية والرومانية فإن التصورات الفلسفية هناك يرتبط جذورها بالأجداد الأقدمين، حيث ظهر للدارسين أن موضوعات ومناهج الفلسفة الغربية الحديثة ليست إلا ترديدًا لأقوال آبائهم الأولين مع اختلاف يسير فانعكست آثار هذه الفلسفات على الأنظمة الاجتماعية والسياسية، وهناك الفكر القائلة بأن العنصر البشري الأوروبي هو أرقى الأجناس وعليه إخضاع باقي الأمم لسيطرته وسطوته فقديمًا أباح أفلاطون في (الجمهورية) استرقاق اليوناني لغير اليوناني – ولم

---

(32) وقد ازداد عدد المعارضين الآن بشكل أثار صيحات عالية بسبب انتهاك حقوق الإنسان وتعرف هذه الحركة بحركة المحتجين والمنشقين.

(33) د. توفيق الطويل: أسس الفلسفة ص**244**.

(34) محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق ص**16**.

يكن بدعًا أن ترى نتشه في العصر الحديث يرفع صوته بفكرة (السوبرمان) قاصدًا به الجنس الغربي الأبيض اللون، فأينعت فلسفته النظام النازي، وما التفرقة العنصرية بأشكالها المختلفة إلا ترديدًا لنفس الفلسفة.

وقد رأينا منذ قليل أن المذهب المادي قديم قدم الفلسفة كذلك فإن الوجودية ليست جديدة كما يظن البعض إذ يرى الدكتور توفيق الطويل أن هذه الفلسفة ظهرت نواتها عند سقراط وأفلاطون وأوغسطين وبسكال وغيرهم.

وسبب ذيوعها وانتشارها في العصر الحديث يرجع إلى عوامل في مقدمتها قيام الحرب العالمية وما ترتب عليها من مآسي حيث افتقد الناس الشعور بالطمأنينة والاستقرار، فانصرفوا عن الفكر المجرد إلى النظر في حياة الإنسان اليومية.

أما ما نقصده بالاختلاف اليسير الذي أشرنا إليه آنفًا فنعني بذلك أن مدار البحث الفلسفي من قديم الزمان انحصر في النظرة للوجود والمعرفة حيث عرف أرسطو الفلسفة بأنها البحث في الوجود بما هو موجود بالإطلاق رغبة في معرفة العلل البعيدة والمبادئ الأولى، وظل هذا الاتجاه قائمًا في الفلسفة التقليدية عند المحدثين وبعض المعاصرين، ثم نقلت أكثر الفلسفات المعاصرة مجال التفلسف من دراسة الوجود بعلله البعيدة إلى البحث في وجود الإنسان.

وقد أقرت هذا الوضع اتجاهات الفلسفة المعاصرة من المادية الجدلية إلى الوجودية إلى البراجماتية فقد رأينا فكرة ماركس عن نمو الحياة الإنسانية فردية كانت أو اجتماعية إذ تتوقف في رأيه على الظروف المادية والاقتصادية فليس وجدان الناس وأفكارهم هي التي تعين وجودهم، وإنما وجودهم الاجتماعي الذي يعين وجدانهم، وتقوم الفلسفة الوجودية على تصوير مغاير للنظر الفلسفي التقليدي فهي قائمة على عكس هذا التصور وتعتقد أن الوجود أسبق من الماهية كما سنرى عند الدراسة التفصيلية للمذهب. كما طغى عليها

تيار العبث فيذكر سارتر أن الإنسان هو الموجود الذي يشعر بأنه قد وجد جزافًا وأنه يدرك ذاته بوصفه عبئًا لا طائل تحته، ويزعم أن الإنسان يعرف دائمًا أنه زائدًا عن الحاجة.

فإذا انتقلنا إلى الفلسفة العملية «البرامجاتية» لدراسة أفكارها من خلال التجربة الأمريكية العملية فإننا نرى فيها محاولة التوفيق بين اتجاهين:

أحدهما: الفكر الكلاسيكي المسيحي المتطرف في إيمانه بالقيم العليا.

: الفكر الطبيعي بتطرفه في الإيمان بالعلم التجريبي.

ولكنها بدورها تطرفت في النهاية نحو المادية النفعية وها نحن نستمع لأحد فلاسفتها وهو «وليم جيمس» يعبر لنا عن فلسفته ببيان نقطة الاختلاف بينه وبين المدرسيين[35] فالفكرة الواحدة قد تكون صادقة في وقت ما أي حين تؤدي إلى نفع ثم باطلة في وقت آخر، أي حين تفشل في تحقيق منفعة، وهذا يذكرنا بالمذهب السوفسطائي القديم الذي أدى إلى الخلط بين الحق والباطل وزعم نسبية القيم.

:

ومن ملامح الفكر الحديث أيضًا ما يسمى بالعلمانية فمن متابعتنا للمراحل المتعاقبة التي مرت بها الفلسفة اليونانية وعلاقتها بالتقدم العلمي لأوروبا ونهضتها العلمية لاحظنا أن العلم لم ينهض إلا بعد الثورة المزدوجة على السلطة العلمية ممثلة في منطق أرسطو والسلطة الدينية ممثلة في رجال الكنيسة ونجم عن ذلك ظهور طريقة الحياة التي سميت بالعلمانية هي تعتمد على وضع الدين (أي دين) في الجهة لهذه الدعوة وادعاء ضرورة الاختيار بين هذا أو ذاك أي الاعتماد على مصدر واحد للمعرفة هو العقل ورفض تام لسائر

(35) وليم جيمس: العقل والدين ص**19**. ترجمة د. محمود محب الله الحلبي **1368**هـ-**1949**.

المصادر الأخرى وعلى رأسها الوحي[36].

والآن نجيب على السؤال: ما هو الموقف إزاء ما يدور حولنا؟

:

يعيش المسلم منذ نحو قرنين من الزمان في أزمة أي منذ استهداف أراضيه للغزو والاحتلال العسكري واستهداف كيانه العقلي والوجداني والأخلاقي لحملة عاتية للقضاء على هذا الكيان وسحقه وإحلال كيان آخر محله.

وبإيجاز شديد بعيدًا عن التحليلات المطلوبة لشرح أحوالنا نقول: إننا نرى أن المسلم المعاصر يعيش في مأزق لمحاولته المواءمة بين عقيدته الإسلامية وبين الحياة العصرية المبنية على طراز غربي فضلًا عن مذاهب فكرية متعددة تنشر أجنحتها على العالم لتطويقه واحتوائه، ولا يمكن تفسير ضراوة معارك الغرب ضد الإسلام إلا برغبته في أن يصبح خضوعنا كاملًا لإطفاء كل نور هداية وإلا فإنه يحس – وحضارته تحتضر – أنه في خطر والأدلة على ذلك كثيرة سنقتصر منها على قولين لاثنين من كبار رجال الغرب:

أحدهما: جلادستون؛ الذي تفوه بعبارته المشهورة: مادام هذا القرآن موجودًا في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق.

: براون؛ الذي قال: «إن الخطر الحقيقي علينا موجود في الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته المدهشة[37] فما المخرج؟ وكيف يمكن للمسلم في هذا العصر وهذه أبرز ملامحه من إنقاذ نفسه وكيانه وأمته من المد العاتي للحضارة الغربية التي تود أن تكتسح أمامها الأفكار والقيم والعقائد لتحل محلها أفكارها وقيمها وعقيدتها؟

---

(36) سقوط العلمانية: عماد الدين خليل ص**36**.

(37) جلال العالم: دمروا الإسلام، أبيدوا أهله ص**37**.

كيف السبيل للانتقال من مرحلة المقاومة إلى مرحلة تأكيد الذات ثم التحول إلى التحدي[38] ينبغي أن نلاحظ أولًا أن صمود هذه الأمة بالرغم من الكوارث والنكبات التي حلت بها لاسيما القرن الأخير المنتهي بالقضاء على الخلافة الإسلامية دليل ما بعده دليل على أن مقومات كيانها صحيحة، وأن بوسعها النهوض من جديد لتأخذ بزمام الأمور فما زلنا مدعوون لقيادة العالم من جديد بعد أن فشل وتخبط عندما قطع صلته برسالة السماء، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:**104**].

ولنا أن نكتفي بهذا الحكم من مصدره القرآني الذي وصف هذه الأمة في آية أخرى بأنها خير أمة أخرجت للناس ونتبعه بأحد الشواهد الدالة على بداية انفراج أزمتنا. يقول البير ماشادور في كلام طويل له عن التنبؤ بظهور المسلمين من جديد واكتساح الإسلام للعالم: (ولست متنبئًا لكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها، إن المسلم قد استيقظ وأخذ يصرخ: ها أنذا لم أمت[39]).

ونعود إلى سؤالنا مرة أخرى. ما المخرج؟

ربما تضمن القسم الأول من هذه الدراسة الإجابة الجزئية عن هذا التساؤل حيث ظهر لنا من خلال ما ذكرناه آنفًا ومن سياق الأفكار التي وردت اتضح الجانب العميق من المعركة الدائرة منذ القدم معركة بين العقيدة السماوية والوثنية الأرضية بشتى صورها ولا حاجة بنا من جديد للبرهنة على إفلاس حضارة الغرب في إيجاد الحلول لمشاكل الإنسان ويرجع السبب فيما يرجع إلى أنها هي نفسها آخذة في الانهيار كما يرى بعض رجال الفكر هناك ونشير فقط على سبيل التذكرة بما ورد على لسان كارليل: (ولقد أصبح الفرد ضيقًا

(38) انظر رأي مالك بن نبي ص**57**.

(39) ن.م ص**37**.

فاجرًا غبيًا غير قادر على التحكم في نفسه ومؤسساته أن ضعفنا الحالي مستمد من عدم تقديرنا للفردية ومن جهلنا بتكوين الإنسان)[1].

أما نحن معشر المسلمين فقد كان لعلماء السلف دورهم الهام عندما استندوا إلى القرآن فاستطاعوا بالاستناد إلى ما تضمنه من الحق والقياس العقلي البين. استطاعوا شجب الفكر اليوناني وآية ذلك ما سبق أن بيناه من وضوح حقائق عالم الغيب وهي من الموضوعات التي عجز الفكر الفلسفي التوصل إليه عندما ركب عقله الغرور.

وفي دائرتنا التي نتكلم عنها علينا أن نتبع المنهاج القرآني لا في التشريع والأنظمة وشئون الحياة كلها فحسب، بل علينا أيضًا ونحن نتناول شئون العقيدة والفكر استخلاص الحقائق من القرآن والحديث لمجابهة – بل نقول تحدي – كل التصورات البشرية المتسمة بالعجز والقصور، فقد ظهر ذلك بصفة خاصة لدى فلاسفة الإغريق وسيزداد ظهورًا عندما نعرض لنموذجين من الفكر المعاصر ممثلًا في المادية الجدلية والفلسفة الوجودية.

بقيت مهمة أخيرة نرى توجيه النظر إليها ونعني بذلك أنه من واجبنا التسلح بالنظرة الواعية للتاريخ، فلا يخدعنا المظهر الخارجي لأحوال الأمة الإسلامية بتقليدها لمظاهر الحضارة الغربية فإن ذلك من قبيل ما يسميه شبنجلر: (التشكل الكاذب)[2] لأن الحضارة تقوم مستقلة عن بعضها تمام الاستقلال بما بما لها من ذاتية خاصة ومن ثم فإن تشخيصنا لأحوالنا الحضارية ينبغي أن يبدأ بالوعي بلغة التاريخ ومقومات الحضارات إذ ما حيلتنا وقد تحقق النموذج الأول الصالح في حضارتنا عند ظهور الإسلام ومنار التاريخ للأمة الإسلامية يدور رحاه حول فكرة «المد والجزر» يقول الأستاذ الندوي: (إن المد والجزر في تاريخ الإسلام وأحوال المسلمين تابع للمد والجزر في

---

(1) الإنسان ذلك المجهول ص**308**، **309**.

(2) نفس المصدر ص**102**.

الإيمان)[1].

ولذا فإن وضعنا يختلف تمامًا عن وضع حضارة الغرب فهي تفر من ماضيها لأنه ماضي التخلف والجهل لاسيما في عصورها الوسطى فتصورت التقدم في المضي قدمًا إلى الإمام ولهذا فإن كل جديد فهو متصل بالارتقاء الحضاري، والمستقبل مهما كان أفضل من الماضي بصرف النظر عن الالتزام أو عدم الالتزام بالقيم والمبادئ والمثل بل هي نفسها تتغير.

أما نحن فنتطلع دائمًا إلى ما نصطلح على تسميته باسم «النموذج والقدوة» كما ورد في الحديث: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته» رواه الشيخان.

ونفهم من حديث آخر أن طائفة من هذه الأمة تظل سائرة على نفس المنهاج: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» رواه البخاري ومسلم.

فالطريق أمامنا ميسر مهده لنا سلفنا الصالح، حيث أثبتوا بإقامتهم أمة إسلامية كبرى تحول العقيدة من النفوس والقلوب إلى مجال التطبيق والتنفيذ وإنارة العالم بنور الحضارة القائمة على التوحيد والعبودية لله تعالى وحده.

وهذه الحقيقة تسلمنا إلى معرفة واجباتنا أمام جيوش الغرب الفكرية والعلمية الزاحفة علينا، ولذا فإننا نرى ضرورة قيامنا بأعباء رسالتنا، فليس من الصواب تجاهل الصراع الذي نراه ونلمسه في زحفه علينا، ولكن اضطلاعنا بمسؤليتنا يقتضي مناوأة الباطل، وهذا بدوره يحتاج إلى بيان تهافته وفقًا للمنهج العلمي في التحليل والنقد.

ولا يهزم الإسلام قط أمام منهج العلم وقوانين العقل، وسيتأكد لنا ذلك عندما نعرض لمذهبين من مذاهب الفكر المعاصر وهما: الماركسية – والوجودية؛

ل:

---

(1) الندوي: المد والجزر في تاريخ الإسلام ص92.

الفلسفة الماركسية وموقف الإسلام منها

قبل الحديث عن الماركسية نرى من الأفضل التقديم لها بالتعريف بالمادية بإيجاز لأنها تعد مرتبطة بها وهي فرع من فروعها.

وتوصف بالمادية كل المذاهب التي تفسر الوجود تفسيرًا ماديًا صرفًا ولا تجد له أصلًا إلا المادة.

وقد عرف قديمًا أول ما عرف عند الفلاسفة الطبيعيين في الفكر اليوناني وفي العصر الحديث تجمع المادية بين فلسفات عدة مثل شيوعية ماركس في الشرق «الأوروبي» وفلسفة فرويد في أوروبا والبراجماتزم في أمريكا وكلها تمثل أصلًا واحدًا وإن اختلفت المظاهر والفروع[1].

وسنقتصر على الماركسية لا لما تثيره من دوي كبير وإغراء للطبقات العاملة ونقاش في ميدان الفكر فحسب بل بما أضرمته من نيران الثورات والفتن حتى أصبح لهذه الفلسفة كيانًا قويًا ممثلًا في دولة كبرى تتخذ من هذه الفلسفة نظامًا ومنهجًا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وتسعى بشتى الوسائل لنشره في العالم كله دينًا تأمل أن يدخل فيه الناس أفواجًا.

وليس للشيوعية صورة واحدة في التطبيق بل اختلفت وتعددت باختلاف القائمين على تفسيرها وتطبيقها بل يعتبر البعض أن لها جذورًا تاريخية عند مزدك، يقول الشهرستاني: «وكل مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال فأحل النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها كالشركة في الماء والنار والكلأ.

وظهرت الفكرة من جديد في العصر الحديث ففي القرن التاسع عشر الميلادي ظهرت الحركة الاشتراكية العلمية ومن دعاتها روبرت أوين الإنجليزي وسان سيمون الفرنسي ثم دعي إليها كارل ماركس اليهودي وإنجلز

---

(1) محمد قطب: الإنسان بين المادية والإسلام ص17.

الإنجليزي ثم انتشرت الفكرة ما اعتنقها ماوتس تونج في الصين وتيتو في يوغوسلافيا وبيفان في بريطانيا واتخذت بعد ذلك صورًا شتى في اتجاهاتها وطرق تنفيذها فهناك الاشتراكية العلمية والماركسية والشعبية والتيتوية والعمالية والتعاونية[1].

غير أنها بقيت في العصر الحديث تنسب إلى ماركس الذي اعتبر نبي الشيوعية العصرية الذي أشعلها فتنة عالمية.

وتنسب الشيوعية العصرية إلى كارل ماركس **1818-1883**م ولد في ألمانيا من أصل يهودي وتنصر أبواه كما نصرا ابنهما البالغ من العمر **6** سنوات لا عن اعتقاد بالمسيحية بل فرارًا من التحقير الذي كان يلقاه اليهود وقد استهوته نظرية دارون في التطور من ناحية كما تأثر بمثالية هيجل[2] وأجاز لنفسه استخدام فكرة التناقض في تفسيره للتاريخ ليصور لنا صراع الطبقات وتنازعها فالحياة الاقتصادية يحكمها قانون التناقض أو الصيرورة فما هو أصل هذه الفكرة عند هيجل؟

يجل:

يمكن تسمية هذه الفكرة بفكرة الثنائية أو الحوار تبسيطًا للمفهوم لأن الحوار يقدم رأيين متقابلين إذ لا نفهم الفكرة في ذاتها ولكن بضدها أيضًا أو كما قيل في المثل القديم – وبضدها تمييز الأشياء ولا تتوقف فكرة التناقض على الفعل وضده بل يتركبان فيصبحان شيئًا واحدًا ثم يبدأ التناقض مرة أخرى حتى ينتهي إلى تركيب أتم من التركيب الأول ولتوضيح ذلك ولتبسيطه أيضًا نضرب مثالًا على ذلك بالماء. إن الماء دعوى «قضية». ولا ماء وهو البخار مقابل الدعوى.

---

(1) عبدالعزيز البدري: حكم الإسلام في الاشتراكية ص**25**.

(2) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة ص**371**.

وصيرورة الشيء إلى نقيضه وهو هنا في هذه المثال صيرورة الماء إلى البخار جامع الدعوى ومقابل الدعوى ثم تمضي الصيرورة في طريقها بهذه الكيفية أي دعوى فمقابل الدعوى فصيرورة الماء إلى بخار ستتحول من جديد إلى ماء فبخار وهكذا[1].

وهكذا يتتابع التطور التاريخي على هذا القول وتتقدم المعرفة لأنها ناجمة عن وجوه متعددة وتأتي بعد الخلاص من قيود النقائض كما يصبح التناقض بهذه الكيفية دافعًا للحركة والتقدم والحرية حتى يبطل التناقض في الأجزاء باحتوائها جميعًا وهذا الكل في النهاية لا يوجد شيء خارجه يناقضه فهو الحرية بغير حدود والمعرفة بغير مجهول فكيف استخدم ماركس هذا القانون المزعوم؟

استخدم ماركس القانون في مجال آخر غير مجال الفكرة عند هيجل فقد استخدمه في مجال الاقتصاد واستند في هذا الاستخدام إلى تاريخ الجماعة لكي يدلل على وقوع انهيار المجتمعات وتحولها من الملكيات إلى المجتمعات الإقطاعية فهي في تصوره قد انهارت لأنها تضمنت عنصر المقابلة أو النقض. وعلى هذا المنوال ستنهار المجتمعات الحديثة الرأسمالية وتتحول إلى المقابل والنقيض لها وهو المجتمع الشيوعي ذو الطبقة الواحدة من العمال.

ويتحقق بذلك فكرة الحتمية في تفسير أدوار التاريخ إذ يظهر في نهايته المجتمع الشيوعي حيث تكون السلطة للدكتاتورية العمالية على أنقاض المجتمع الرأسمالي[2].

---

(1) د. البهي: الفكر الإسلامي الحديث ص**338**، **339** ط **1970**م.

(2) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة ص**383**.

إنسان:

يرى ماركس أن الحياة الإنسانية فردية واجتماعية تتوقف كلها على الظروف المادية والاقتصادية وأن درجة الحضارة تقاس بدرجة الثروة الزراعية والصناعية وأن نوع الإنتاج في الحياة المادية شرط تطور الحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية على العموم.

وهنا تثور أمامه صعوبة إذا ما اقترب من الفكر الإنساني والشعور الإنساني لتحليله وبيان مصدره.

ولكنه لا يعدم تفسيرًا ماديًا أيضًا فيعرف «الفكر والشعور» بأنهما من نتائج الدماغ البشري – بل الإنسان كله نتاج الطبيعة فالدماغ ليس إلا مادة دقيقة التركيب والعقل أداة مادية تعكس المؤثرات الخارجية ثم تتأثر بها ولكنه هو في ذاته ليس حقيقة فعالة مؤثرة ولذا فالمادة قبل الفكر.

ومجمل القول أن نظرته للإنسان هي نظرة مادية حيوانية تنفي الجوانب الروحية والمثل العليا[1].

أما عن أصل الحياة فقد وجدت الخلية الأولى التي تشعبت منها سلسلة التطور نتيجة تفاعلات كيماوية وبيولوجية في عصور جيولوجية سحيقة[2].

:

1- أول ما يتبادر إلى ذهن الباحث في فكرته عن المذهب هو قيام ماركس بعملية التلفيق والترقيع بين المادية والمثالية وفي بيان ذلك يقول الأستاذ العقاد: «فمن الترقيع أن تستعار فلسفة هيجل من المثالية إلى المادية وتستعار معها مصطلحاتها وأدوارها ويمضي في شرحه فيبسط الفرق بين الفلسفة

---

(1) محمد قطب: الإنسان بين المادية والإسلام ص**64**.

(2) خفاجي: حوار مع الشيوعيين في السجن ص**84، 85**.

النظرية – وهي عبارة عن تصورات الذهن قد يصل فيها صاحبها إلى ما يصبو إليه لتقريب الحقيقة إلى الإدراك الإنساني فكيف يدعي ماركس أن هذه التصورية باطلة في النظر عند هيجل ولكنها أصبحت على يديه صادقة في الواقع؟[1].

ولاشك أن هذا الترقيع عرض الماركسية إلى كثير من التعديل والتغيير الجذريين في أصولها المنهجية والفكرية في أقل من ربع قرن. والحق أن الفكر الشيوعي منذ ولد كان في وضع لا يسمح له بالحياة والاستمرار إلا بقدر ما تحميه القوة التي يملكها.

2- كما يظهر بطلان المذهب في أساسه المادي في محاولة استخراج الموجودات على اختلاف أنواعها من المادة البحتة وإذا كان للظروف المادية والاقتصادية أثرها في حياة الإنسان فإن هذا الأثر لا يعدو تكييف هذه الحياة وتوجيه بعض أفعال الإنسان وتبقى القوى الإنسانية ويبقى الوجدان.

3- ومما يؤخذ على التطبيق الفلسفي لمبدأ النقيض في الفلسفة الماركسية أنها تقف لتترقب تحول المجتمع الرأسمالي إلى النقيض أو المقابل له وهو المجتمع الشيوعي عند حد هذا المجتمع ولكنها لا تذكر – فضلًا عن أن تترقب توقع انهيار المجتمع الشيوعي وسقوط وهدم نفسه في مجتمع مقابل له بناء على أن كل شيء يتضمن نقيض نفسه وأن فيه عامل الهدم لنفسه.

4- ونستطيع أن نضيف إلى ما تقدم ما يعرف عن محاولة ماركس تعديل مهمة الفلسفة بحيث يجعلها قاصرة على التغيير كمنهج يرسم طريقًا للتفكير والعمل فقط ومن هنا لم تنجح هذه الفلسفة في تفسير المقولات الرئيسية عن الإنسان والعالم والمصير ومن جاء مقتل الفلسفة المادية حيث انتهت إلى شيء غريب لا هو بقوانين العلم ولا الفلسفة المثالية الخالصة لتفوق الأخيرة

---

(1) العقاد: الشيوعية والإنسانية ص**122**.

بنقطة بدء صحيحة هي وجود الله وجودًا مجردًا كذلك انهار سلطان التفسير المادي تحت ضربات العلم حيث أصبح العلم يعني بجزئيات فروعه كالنبات والحيوان والطبيعة والكيمياء إلى آخره. أصبح لكل نوع ولكل فرع من نوع قوانينه وعلمه الخاص وظهر بذلك عجز المادية عن تقديم التعليل الصحيح المتفق مع نتائج العلم.

العلم:

يطول بنا الحديث لو نظرنا إلى الفلسفة الماركسية في ضوء الخطوات الواسعة التي خطاها العلم عما كان عليه عندما أعلن ماركس تفسيره المادي.

ومن هنا سنقتصر في معالجتنا لنقطتين:

أ- اختفاء فكرة الحتمية في القانون العلمي.

ب- تبدل النظر إلى المادة في ضوء التجارب العلمية.

ونتكلم عن هاتين النقطتين باختصار فيما يلي:

أ- الحتمية: بدأ فكرة الآلية أو الحتمية تظهر أمام العلماء في فكرة «حتمية القانون العلمي القائم على مفهوم السببية التجريبية حيث تراءت لجاليليو ونيوتن قوانين الفلك والمادة في حتمية لا فكاك منها ويا ليتها وقفت عند هذا الحد في تفسير الحركات الطبيعية – ولو فعلت لكان لها عذرها بسبب قصور المنهج التجريبي في وقتها – إنما امتد طغيانها بفعل غرور الآخذين بها ونفوذهم وشهرتهم العلمية لكي تشمل من العلوم ما ليس للتجربة فيه نصيب كعلوم الإنسان من أخلاق ونفس واجتماع وتاريخ[1].

ولكن ثبت في ضوء التقدم العلمي الحديث خطأ فكرة الحتمية وحل محلها الاحتمال والظن والتخمين فالعلم إذن هو عبارة عن تصورات ذهنية ناشئة عن الملاحظة والتجريب من شأنها أن تثمر الجديد من الملاحظة

---

(1) أحمد إبراهيم الشريف: الحتم والحرية في القانون العلمي ص22، 23.

والجديد من التجريب وبناء على هذا التصور فالعلم ليس مطلقًا يبحث عن اليقين غاية ولكنه على الأصح مطلب نجاحه يتوقف على درجة استمراره واطراده واتصاله.

ب- من خير ما يصلح كمقدمة لهذه النقطة قول الأستاذ العقاد «كان أحدهم يرفض تفسير الكون بالفكرة أو الحقائق الغيبية ويقول وهو يدق بيده على المائدة ويخبط بقدمه على الأرض هذه الحقيقة التي تفسر لنا كل شيء وليست تلك الفروض المغيبة وراء الواقع الملموس باليدين»[1].

فما الذي حدث إزاء هذا التصور؟ كان من أهم التطورات العلمية في القرن العشرين أن البحث في تركيب الذرة قد دلنا على أن المادة مؤلفة من كهرباء وقد ثبت ذلك بالدليل الحسي وأخذت صور فوتوغرافية للبروتونات والإلكترونات المتحركة ودخل لغة العلم لفظ جديد هو الطاقة والأصل في الطاقة أنها الاستطاعة والمقدور في لغة العلم فهو نوع من المقدرة أيضًا إلا أنها مقدرة الأجسام على إحداث الحركة.

وإذا كانت الثنائية قد ظهرت في المادة بعامة فهي أظهر ما تكون في كيان الإنسان حيث لا يمكن تفسير الإنسان إلا بوجود حقيقة أخرى غير مرئية وهي الروح فالذي يقول بأن الإنسان مجموعة وظائف مادية لا غير عليه أن يفسر لنا أين يذهب ذلك الإنسان في لحظة النوم حيث تقوم جميع وظائف الجسم بأداء دورها أثناء النوم فنحن أمام رجل نائم أشبه بشجرة فأين الإنسان في تلك الجثة النائمة إذا تحركت نشطت وأدت أدوارها في الحياة؟[2].

اهم:

وتأتي حقائق الإسلام فتتوج ما دعمه الفكر الإنساني والنظر العلمي التجريبي وقد سبق أن قلنا أن الإسلام لا يهزم قط في مناقشة حرة بل يزدهر

---

(1) العقاد: الشيوعية والإنسانية ص124.

(2) د. مصطفى محمود: رحلتي من الشك إلى الإيمان ص25.

وتتألق براهينه من خلال الحوار العقلي[1] فالفكر المستنير المستند على موازين سوية يرى تناقضًا في استناد الفلسفة الماركسية على أهم أفكار الفلسفة المثالية وكذلك فإن التصور العلمي الذي يزعم الماركسيون أنهم يبنون عليه جدلهم وتوقعاتهم الحتمية هذا القصور قد أصبح مخالفًا تمامًا لما كان يظنه أهل العصر الذي عاش فيه صاحب المذهب ولذا فإننا نستطيع القول أن الموقف الإسلامي يتضمن هذين النقدين ونضيف إليهما أمرين:

إلحاد: أو القول بأن الدين أفيون الشعوب – إذ أننا نرى أن ماركس لم يفطن إلى ما نتج عن الإلحاد من الهبوط بالإنسان إلى درك البهيمة ونحن نعلم أنه كان يهوديًا في أعمق أعماقه ولم تكن مهاجمته لليهودية إلا لتبرير محاربة الأديان الأخرى وإليكم وصف توينبي حيث لفت نظره تقليد الماركسية للعقيدة الدينية في معالمها الرئيسية حيث نشاهد الماركسية تتحول إلى بديل عاطفي وثقافي للمسيحية الأرثوذكسية مع إحلال ماركس محل موسى عليه السلام ولينين مكان المسيح عليه السلام وقيام مجموعة أعمالهما بدور الكتب المقدسة لهذه الديانة الإلحادية ذات الطابع الحربي على أن الظاهرة تأخذ طابعًا مختلفًا إذ تحول اهتمامنا من العقيدة إلى الأعمال[2].

ألا يدل ذلك على معرفة أصحاب المذهب لحاجة الإنسان إلى الدين وأن العاطفة الدينية لاصقة بالنفس ولها تأثيرها العميق في حياة الشعوب والأفراد؟

وإذا خصصنا الإسلام بالحديث فإن من المعروف أن الإسلام يأبى للمسلم أن ينسى نصيبه من الدنيا ويأمره أن يأخذ من طيباتها بل نذهب إلى أبعد من ذلك فنستعرض مواقف أعداء الإسلام الذين لاحظوا أنه لا يمكن اتهامه بتحسين الجبن أو الاستكانة لأتباعه ومن هنا خطر لهم أن يصفوه بنقيض ذلك

---

(1) خفاجة: حوار مع الشيوعيين ص**83**.

(2) توينبي: موجز تاريخ العالم جـ**1** ص**342**، وينظر أيضًا ص**340**، **349**.

ويبالغوا فيما وصفوه فيقولوا عنه أنه دين السيف أو دين القتال.

:

يزعمون أنها انبعثت من الخلية الأولى بعد العصور الجيولوجية الموغلة في القدم فأرجعوا الحياة إلى الصدفة وقد أصبح من قبيل الغض من قيمة العقل بل الاستهانة بشأنه محاولة الإيهام بنشأة الحياة من الصدفة.

فهل هناك افتراض أوهن من القول بأن الصدفة هي التي أوجدت العالم؟ وما هو الأقرب إلى التصديق: أنرجع الخلق إلى الصدفة أم إلى خالق قادر حكيم مدبر تنطق المخلوقات كلها بصفاته ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾ إذ لا نملك أمام تأمل آيات المخلوقات في دقتها وتناسقها وانبثاق الحياة في الكائنات كلها من صغيرها ودقيقها كالحشرات والديدان أكبرها وأعظمها كالكواكب السيارة من الشمس والقمر والأفلاك السائرة في الفضاء؟ إننا لا نملك إلا الوقوف متسائلين أبالصدفة تلتئم الجروح وتخيط شفراتها بدون جراح؟ بالصدفة يدرك عباد الشمس أن الشمس هي مصدر حياته فيتبعها؟ بالصدفة تستدل الطيور والأسماك على أوطانها بعد آلاف الأميال وعبر الصحاري والبحار؟ بالصدفة يكسر الكتكوت البيضة عند أضعف نقطة فيها ليخرج؟ فالحق أن العالم الذي نعيش فيه يدل على النظام والانضباط من أصغر ذرة إلى أكبر فلك فالعبث غير موجود إلا في عقولنا وأحكامنا المنحرفة وباختصار شديد للموضوع كله نقول: إن الزعم بأن كل هذا النظام حدث صدفة كالادعاء بأن انفجارًا في مطبعة أدى إلى أن تصطف الحروف على هيئة قانون محكم ولاشك أن هذه المحاولة تدل على استماتة العقل الخبيث الماكر لتجنب صوت الفطرة الذي يفرض نفسه فرضًا ليقول بأن هناك خالقًا مدبرًا حكيمًا عظيمًا جل شأنه[1].

---

(1) د. مصطفى محمود: رحلتي من الشك إلى الإيمان ص**96** وما بعدها.

الوجودية
وموقف الإسلام منها

تنسب كلمة (الوجودية) إلى الوجود، لا الوجود المطلق ولكنها تعني أن يهتدي الإنسان إلى وجوده بنفسه، لا بالتحليل النفسي والمراقبة الباطنية، ولا يهتدي بهدى الأخلاق المقررة وأصول الآداب المتواضع عليها لأنها تنشأ قبل نشوء الأفراد وإنما نهتدي إلى وجودنا بثورة في أعماق هذا الوجود: أي بصدمة عاطفية قوية، أو بيقظة من يقظات الضمير أو بضربة من ضربات التجارب تفصلنا عن المجتمع الذي نعيش فيه أو نتناول مكاننا منه بالتحويل والتبديل[1].

بدأت الوجودية بمؤسس هذا المذهب في العصر الحديث سورين كركجرد الدنمركي، وكانت حياته تفسر مذهبه إذ اصطدم في مقتبل شبابه ثم تعددت المذاهب فأصبحت وجوديات كثيرة. وكان الأساس الصحيح التي تقوم عليه الوجوديات السليمة هو إنصاف الفرد من طغيان الجماعة وعلى استقلاله – كحركة رد فعل ضد طغيان المذهب الشيوعي وسيطرة الجماعة على الفرد. حدثت له صدمة عاطفية فاختار وجوده أن يعيش على سنة السيد المسيح عليه السلام في هذه الدنيا التي لا تجتمع فيها القداسة والوجاهة، وكان يؤمن بحق الفرد في اختيار عقيدته أعظم من حق الكنيسة وحق الجماعة، فالفرد وحدة غير قابلة للتكرار، وكل ما يستطيعه المؤمن للمؤمن أن يريه بالمثل المحسوس أن باب الاختيار مفتوح، وأنه إما أن يختار وجوده بإلهام ضميره أو يضيع[2].

أما الصورة الأخرى فهي صورة الإباحية الأخلاقية يقيمها أصحابها على

---

(1) العقاد: أفيون الشعوب – دار الاعتصام ص99 ط75م المذاهب الهدامة.

(2) العقاد: أفيون الشعوب ص99 دار الاعتصام ط1975م.

سند فلسفي يسوغون به ضعفهم وانحلالهم وهم يخجلون من الضعف والانحلال بغير سند منسوب إلى الفكر والفلسفة[1].

ولم يبعد المذهب على هذه الصورة التي تركها كيركجارد، إذ انتقل في فرنسا على يد أمثال سارتر وألبرت كاموس وسيمون دي بوفوار، واصطبغ بسمات خاصة، ففيها النزعة الوجدانية وفيها الإيمان بحرية الفرد وفيها التمرد على سلطان الكهانة[2].

وانتقلت هذه الأفكار ضمن ما انتقل إلى العالم الإسلامي من خلال ترجمة الأعمال الفلسفية والأدبية، ولكن لم تعرف الوجودية على الأغلب في العالم الإسلامي كفلسفة بقدر ما عرفت مما تسرب من آثارها في الأعمال الأدبية كالقصة والرواية التي عبرت عن حالة الغربة والضياع واللاجدوى لاسيما عقب الحرب العالمية الثانية، لأنها ظهرت هناك بسبب تضاعف الخطر على وجود الفرد بعد ظهور الشيوعية والنازية والفاشية وما إليها وكلها أنظمة تلغي حق الفرد في جانب حق الدولة أو الجماعة.

وارتبطت الوجودية في الأذهان لدى المثقفين بعامة بسارتر وإنتاجه الفلسفي والأدبي وأكثر ما تتمثل آراؤه في رواياته المسرحية، وأبطاله المعروضة في تلك الروايات ومنهم من يستبيح الإجرام أو الشذوذ أو التبذل أو الخيانة[3]. ولذا فسنقتصر على الإلمام بآرائه توطئة لنقدها من وجهة النظر الإسلامية.

:

تقوم الوجودية كفلسفة على فكرة رئيسية مؤداها أن الوجود أسبق من الماهية، ويعرف سارتر الوجودية بأنها مذهب إنساني، إلا أنه يلح في تحليل

---

(1) المصدر نفسه ص**119**.

(2) المصدر السابق ص**105**.

(3) العقاد: بين الكتب والناس ص**26**.

النواحي القذرة البشعة من الإنسان في قصصه ومسرحياته، ويعود موقفه الميتافيزيقي إلى الادعاء بأنه يجب البدء من (الذاتية) لدراسة الإنسان، فينظر إليه كما هو موجود في بيئة معينة وفي كل فرد دون اعتبار للمعنى الكلي الذي يقال أنه يمثل الماهية[1].

وفي هذا الصدد يقول سارتر: (إن ذلك يعني أن الإنسان يوجد قبل كل شيء، يصادف ويظهر في الطبيعة والكون ومن ثم يحدد ويعرف)[2].

فما هي الطريقة التي يقرر بها الفرد وجوده؟

عند بعضهم أن وجود الفرد يتقرر ويتحقق بإطلاق العنان لرغباته وشهواته يفعل ما يشاء ولا يبالي العرف أو الدين، وعند فريق آخر من الوجوديين أن الفرد يتحقق وجوده إذا اتصل بالوجود الأعظم، وجود الإله أو وجود الكون، وعند البعض منهم يتحقق وجود الفرد بمواجهة المخاوف والأخطار والتعرض للقلق والمحنة واستخراج كل قوة في أعماق النفس بتجربة الخوف والتغلب عليه وقبول الاختيار[3]، وهكذا تتراوح آراء الوجوديين بين المؤمنين والملحدين، أما أكثرهم تطرفًا – وهو سارتر اليهودي الفرنسي فإنه يقرر أن: (الإنسان كما تتصوره الوجودية ليس له في البدء أي وجود حتى يمكن تعريفه وتحديده، وأن هذا التعريف وهذا التحديد لا يصح وجودهما إلا بعد أن يكون الإنسان قد وجد على الشكل الذي يوجد نفسه عليه).

وتصور سارتر ناجم عن إلحاده وكفره إذ ينكر ماهية الإنسان المخلوق سلفًا[4]، وبعبارة أخرى فإنه مادام الفرد هو الموجود الحقيقي، فلا معنى للقول بالطبيعة البشرية، والقول بالأخلاق التي تفرضها هذه الطبيعة، أو بالأقدار التي

---

(1) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة ص**434**.

(2) سارتر: الوجودية مذهب إنساني ص**37**.

(3) العقاد: أفيون الشعوب: ص**108**، **109**.

(4) سارتر: الوجودية مذهب إنساني ص**37**.

رسمت لها طريقها قبل أن تبرز إلى عالم الوجود[1].

وإزاء افتقاد الإنسان لطريق الهداية فإنه لن يجد عونًا في هذه الأرض ولن يجد ما يهديه أو يحدد له معالم سيره ولذلك فعلى عاتق الإنسان وحده يقع عبء تفسير معالم الحياة التي هي أشبه بالطلاسم. ومادام الإنسان مدعو في كل لحظة لعملية يسميها (اختراع الإنسان) فإنه يحتاج إلى تغيير أخلاقه دون التوقف عند مبادئ ثابتة.

وهنا يحس بالمأزق لأن هدم أسس الأخلاق وإنكار القيم الأزلية لا يبقى على شيء له أهمية واعتبار في الحياة ويصبح الفرد قادرًا على التصرف كما يشاء وعاجزًا في الوقت نفسه عن الحكم على تصرفات غيره. وعندئذ نراه مضطرًا للإبقاء على حد أدنى لثبات الأخلاق، فيعترف بأنه مهما كانت الأخلاق متغيرة فإنه لا يعدم منها مظهرًا يصح أن يعتبر شاملًا[2].

وإذا اعترف بثبات الحد الأدنى، فما المانع من إقرار الحد الأعلى؟ فالأخلاق قيم كيفية، وليست مقادير كمية كالدينار والدرهم.

:

أول ما يقال أن تصور سبق الوجود على الماهية خطأ في العقل والمنطق وخطأ في القياس والاستدلال، فوجود النوع الإنساني أولًا وجود حقيقي صادق في الحس كصدق وجود الفرد أو أصدق لأن وجود النوع الإنساني حقيقة (بيولوجية) من حقائق اللحم والدم، وليس فرضًا من فروض التصور في الأذهان، ولا يتم كيان الفرد نفسه إلا إذا نضجت منه الوظائف النوعية التي يتحقق بها وجوده كما يتحقق بها النوع[3].

كما يفهم من المذهب أيضًا بأنه لا يهتم بوصف مظاهر خيرة من مظاهر

---

(1) عباس العقاد: بين الكتب والناس ص**25**.

(2) سارتر: الوجودية مذهب إنساني ص**106**.

(3) العقاد: بين الكتب والناس ص**26**.

الحياة فلا يصور إلا الجبان والفاسق والضعيف والمائع وصاحب الخلق المنحل متناسيًا مظاهر الحياة الآملة في المستقبل، فكأنه ينظر دائمًا إلى الذين هم فضلات في جسم الإنسانية متخذين منهم مقطع النظر إليها جميعًا فأدى ذلك إلى التشاؤم والقلق والسخط والشك في الخير والحق والقيم[1] لذا فقد غاب عن الوجودية أو تعمدت نكران الأحاسيس البهيجة للإنسان متمثلة في معاني لا يمكن حصرها نذكر منها على سبيل المثال مظاهر إنسانية لا ينكرها إلا من انطمست بصيرته، والأمثلة على ذلك كثيرة كحنان الأمهات وتضحيات الآباء ومحبة الأهل والأخوة والأصدقاء ومظاهر الحياة المشعة بالأمل حولنا كابتسامة الطفل وإشراقة الشمس وضوء القمر، وتجدد الحياة حولنا في أشكالها المختلفة الرائعة أن الوجوديين من أتباع سارتر يتعمدون إنكار الأحاسيس بالانتصار والنجاح ومتعة الوصول إلى الأهداف وخبرة السعادة بالتضحية والإيثار وغيرها من مباهج الحياة ومتعها المشروعة.

وهذه الأدلة مستمدة من أحاسيس وجدانية وخبرات إنسانية لا يخلو منها كلها أو بعضها إنسان قط وإلا لأصبحت الحياة غير محتملة، ولأقبلت البشرية كلها على الانتحار الجماعي لو اقتصرت على الصور الممسوخة التي يقدمها سارتر في قصصه ومسرحياته، ولما قامت حضارات ولما قرأنا عن تاريخ أمم عاشت قرونًا طويلة، ولدمر الإنسان نفسه بنفسه.

أما المسلم فتشع في جنبات نفسه روح التفاؤل، وتشحذ همته العقيدة التي تفتح باب الأمل مهما تعسرت الأمور حتى في أعظمها شأنًا – وهو دينه – لأنه يعلم أن مع العسر يسرًا. وجاء القرآن الحكيم محذرًا من التردي إلى هاوية اليأس:

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ

(1) عبدالمنعم خلاف: العقل المؤمن ص**138**.

بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج:**15**].

يقول أحد المفسرين:

(من كان يظن أن الله لن ينصر دينه ولا رسوله فليقتل نفسه بأن يعلق حبلًا في السماء أو في سقف بيته ثم ليربط به عنقه ربطًا محكمًا حتى يختنق، ثم لينظر هل ينقذه هذا العمل من غيظه ويشفيه منه.. أن محمدًا لابد منتصر.. وقد انتصر.. وسينتصر دينه على الدوام بإذن الله القوي القهار)[1].

وبعد النقد يأتي البحث عن الدوافع وراء هذا المذهب. يقول الأستاذ العقاد:

(ومن الخير أن تدرس المذاهب الفكرية بل الأزياء الفكرية، كلما شاع منها في أوروبا مذهب جديد، ولكن من الشر أن تدرس بعناوينها وظواهرها دون ما وراءها من عوامل المصادفة العارضة والتدبير المقصود)[2].

وحجته في ذلك أن سارتر نصف يهودي أو أكثر من نصف يهودي لأن أمه يهودية ومعظم أيامه يقضيها مع اليهود.. ولن تفهم المدارس الحديثة في أوروبا ما لم تفهم هذه الحقيقة التي لاشك فيها، وهي أن أصبعًا من أصابع اليهود – كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية، وترمي إلى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الإنسان في جميع الأزمان[3].

ام منها:

افترض سارتر والمروجون لآرائه فروضًا نسجها في خياله وبدأ منها كمسلمات لا نقره عليها للأسباب التي سنذكرها: فقد رأى افتقاد الإنسان لطريق الهداية وحمله وحده مسئولية تفسير معالم الحياة فصارت أمامه أشبه

---

(1) عبدالودود يوسف: تفسير المؤمنين ص**266** – المؤسسة العلمية – دمشق ط**1395**هـ - **1975**م.

(2) العقاد: بين الكتب والناس ص**33**.

(3) العقاد: بين الكتب والناس ص**32**.

بالطلاسم، فأخذته الحيرة وأسلم نفسه لهواجس القلق ومعاول الضياع.

وهنا تظهر حاجة الإنسان إلى الإيمان استجابة لفطرته بل إنه يحتاج للإيمان أكثر من حاجته للطعام والشراب، ثم بالإيمان ذاته يعرف حقيقة نفسه، ويتمكن من تفسير الحياة فتتضح أمامه دروبها ومسالكها ويعرف غاياتها.

إذ (لولا إيماننا بالقضاء والقدر لقتلنا الحزن، ولولا إيماننا برحمة الله لقتلنا اليأس، ولولا إيماننا بانتصار المثل العليا لجرفنا التيار، ولولا إيماننا بخلود الحق لجسدنا أهل الباطل أو كنا معهم، ولولا إيماننا بقسمة الرزق لكنا من الجشعين، ولولا إيماننا بالمحاسبة عليه لكنا من البخلاء أو المسرفين، ولولا إيماننا بعدالة الله لكنا من الظالمين، ولولا رؤيتنا آثار حكمته لكنا من المتحيرين)[1].

وهكذا فإن الإيمان بالله تعالى ورحمته هو الركيزة التي يستند إليها كل خير. فمن هدمها فقد هدم كل شيء وعندئذ تصبح الحياة سأمًا والكون عدمًا كما يزعم سارتر وهدجر.

أما المسلم فهو يعرف الغاية من خلقه، روى الثعلبي في تفسيره عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون:**116**].

■ لم خلق الخلق؟

فأجاب:

(لأن الله كان محسنًا بما لم يزل فيما لم يزل فأراد الله أن يفيض إحسانه إلى خلقه، وكان غنيًّا عنهم، لم يخلقهم لجر منفعة، ولا لدفع مضرة، ولكن خلقهم وأحسن إليهم، فأرسل إليهم الرسل حتى يفصلوا بين الحق والباطل، فمن

---

(1) د. مصطفى السباعي: هكذا علمتني الحياة ص**95**، **96**.

أحسن كافأه بالجنة، ومن عصى كافأه بالنار)[1].

وهكذا فإن الله سبحانه وتعالى ابتلى العباد بالنعم كما ابتلاهم بالمصائب، وعد ذلك كله ابتلاء فقال: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ وقال: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملًا﴾ وقال: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملًا﴾ فأخبر سبحانه وتعالى أنه خلق العالم وقد أجل الخلق، وخلق ما على الأرض للابتلاء والاختبار[2].

وهذا الابتلاء إنما هو ابتلاء صبر العباد وشكرهم، في الخير والشر، والسراء والضراء، ووردت الأحاديث الكثيرة في بيان ما يقابله المؤمن في حياته من ابتلاءات طوال عمره، منها:

أ- عن صهيب الرومي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له». (رواه مسلم).

ب- وعن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء (أي محنًا وشدائد)؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة. رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا والترمذي.

وقال حديث حسن صحيح.

---

(1) ابن تيمية: شرح حديث النزول ص157.

(2) ابن القيم: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر ص132.

نصائح عملية للشباب

نصائح عملية للشباب

أيها الشاب المسلم.. أيتها الشابة المسلمة..

- إذا كنتم جادين في الرغبة أن تنجحوا في الدنيا وفي الآخرة، فلابد أن تتحول هذه الرغبة إلى عزيمة صادقة، ثم إلى عمل دؤوب، ثم إلى مداومة على هذا العمل..

- ليس الطريق معبدًا لمن سار فيه كسلان.. إنما هو يسير على من يسره الله عليه.. والله عز وجل مطلع على القلوب، ويعلم المفسد من المصلح، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور..

- إذا أردتم الرفعة لأمتكم، وإذا أردتم لها أن تستعيد مكانتها المرموقة التي طالما احتلتها، وإذا أردتم أن يُرفع الضيم والذل والهوان من على كاهل الأمة فابدءوا من الآن..

- لا تسوفوا ولا تؤجلوا ولا تتعللوا بمعوق من المعوقات..

- ابدءوا الآن.. وسيفتح الله لكم أبواب رحمته..

وإني ذاكر لكم الآن عشر نصائح سريعة.. واعلم أن كل واحدة منها تحتاج إلى كتاب خاص، وإلى شرح مفصل، ولكنها مجرد رؤوس أقلام، والمجال أمامكم مفتوح للإبداع والابتكار..

النصيحة الأولى
أقلع عن المعصية فوراً

لعل من أشد الأمور فتكًا بالشباب وبغيرهم من المسلمين الانغماس في المعاصي.

إن المعاصي أخطر على الإنسان من الذئاب المفترسة، فهي تتراكم على القلب حتى تعزله عن كل المؤثرات الإيجابية الخارجية، فإذا استمع إلى نصيحة لا يُنصح، وإذا قرأ موعظة لا يتعظ، بل إذا تلا قرآنًا لا يخشع، وإذا شاهد موقفًا مؤثرًا نظر إليه وكأنه لا يبصر..

وكل هذا من جراء الإغراق في المعاصي.. وهذا مصداق حديث رسول الله ﷺ الذي رواه الترمذي وأبوداود وابن ماجه وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صُقل قلبه، فإن زاد زادت، فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:**14**].

وترك المعاصي – يا شباب الأمة – مقدم على فعل فضائل الأعمال.. فالذي يقلع عن المعصية ولا يقرأ القرآن أفضل من الذي يقترف المعاصي ويقرأ القرآن..

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم».

ولا يستقيم أبدًا لمن أراد أن ينصر الأمة أن يظل على معصيته، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي جنده المقاتلين في سبيل الله بقوله: «لا تعملوا بمعاصي الله، وأنتم في سبيل الله».. وأشد المعاصي خطورة ما كنت مواظبًا عليه، فهذه علامة على فساد النفس، فأسرع بإصلاح فساد النفس، وإلا

مرت الأعوام والأعوام، والحال هو الحال أو أسوأ، والطريق هو الطريق أو أضل.

واعلم أيها الشاب – وأيتها الشابة – أنك بإقلاعك عن المعصية الآن، وعزمك على عدم العودة، وندمك على ما فات، تكون قد فتحت صفحة بيضاء تمامًا مع رب العالمين.. فهو يغفر الذنوب جميعًا، ويقبل التوبة عن عبادة، ويعفو عن السيئات، ويتقرب من عبادة المتقربين إليه..

ثم احرص على ألا تؤجل توبة اليوم إلى الغد، بل لا تؤجل توبة هذه اللحظة إلى اللحظة التالية، فإن النفس قد يخرج فلا يعود، والروح تعود إلى بارئها في لحظة، والموت لا يُؤخر بأي حال، وقد مدح الله عز وجل التائبين بقوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء:17]، أي أن التوبة تكون قريبة جدًّا من الذنب، فلا يبقى العبد مصرًا على ذنبه مدة طويلة من الزمن..

وأكثر من الدعاء قدر ما تستطيع أن يغفر الله لك الذنوب، ويستر لك العيوب، وهو قريب – سبحانه وتعالى – من عباده، ولاشك أن سيستجيب، وعلامة ذلك أنك تجد في روحك خفة للعمل للصالح، وإقبالًا على الطاعة، ورغبة في أداء الخير، وخوفًا من عاقبة المعاصي السابقة، ورجعة عند سماع التذكير من قرآن وحديث وعلوم..

فإن وجدت في نفسك ذلك فاحمد الله حمدًا كثيرًا فقد استيقظ قلبك، وسارع بالعمل كي تحافظ على هذه النقاوة والبهاء، وإذا لم تجد ذلك في نفسك ففتش عن معصية ظاهرة أو خفية مازلت مصرًا عليها وأنت لا تدري.. وقد تكون هذه المعصية في نظر، أو في كلمة غيبة، أو في أغنية لا تحل، أو في عقوق – ولو بسيطًا – للوالدين، أو في ذرة كبر، أو في لحظة غضب، أو غير ذلك.. واحذر من الذنوب الصغائر، فإنها تتسلل إلى القلب تسللًا، ثم تتكاثر عليه حتى تكون كالجبل، وتذكر أنه ليس هناك كبيرة مع استغفار، كما أنه ليس هناك صغيرة مع إصرار..

وتذكر حديث الرسول ﷺ الذي رواه الإمام أحمد بن سهل بن سعد قال رسول الله ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب، كقوم نزلوا في بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خُبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يُؤخذ بها صاحبها تُهلكه».

ومحقرات الذنوب هذه هي الذنوب التي يستصغرها العبد لتفاهتها في نظره، فتتراكم عليه حتى تهلكه، ونسأل الله العافية لنا ولكم ولسائر المسلمين.

النصيحة الثانية

اعرف دينك

فكيف يمكن أن ترتبط بدين لا تعرفه؟ وكيف يمكن أن تتمسك بسنة أو منهج أو طريقة أنت تجهلها؟ وكيف تسير في طريق تفتقر إلى معالمه؟

لقد مرت شهور وسنوات وأنت لا تعرف دينك بالقدر الكافي.. أما حان الوقت أن تقرأ وتتعلم؟!

دين الإسلام دين عظيم.. بكل معاني كلمة عظيم.. ولا يحيط بعظمته إنسان، فهو دين محكم، أحكمه رب السموات والأرض.. أبدعه فأحسن إبداعه، وأكمله فما عاد فيه شيء ناقص، وعده من أعظم النعم على المسلمين..

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾.

[المائدة:3]

ولكي تعرف ما يصلح دينك ودنياك من هذا الدين المتكامل تحتاج إلى تصرف وقتًا كافيًا، وجهدًا مخلصًا لكي تصل إلى ما تريد الوصول إليه.

وعلوم الإسلام لا تنتهي، وإبداعات العلماء فيها لا تكاد تحصى، وتحتاج إلى أن تتعرف على من يأخذ بيدك إلى علوم المعرفة الإسلامية خطوة خطوة، لكي لا تتوه في طرق متشعبة..

ولتبدأ رحلتك مع القرآن وتفسير مبسط له، وكذلك الحديث النبوي الشريف وتفسير مبسط له كذلك.. فهما الأساس الذي ينبني عليه الدين كله..

ثم خض بعد ذلك في سائر العلوم الإسلامية، ولكن بتدرج ودون إسراف، فإن الدين متين فأوغل فيه برفق.. فلتجعل لك – بمساعدة أحد العلماء – جدولًا واضحًا للدراسة، يشمل عقيدة وأخلاقًا وفقهًا وسيرة ومعاملات، وغير ذلك من الفروع المهمة..

واهتم اهتمامًا خاصًا بسيرة الرسول ﷺ فهي التطبيق العملي الواضح للقرآن الكريم، وهي النموذج الجلي لكل صغيرة وكبيرة في الدين..

وأيضًا اهتم بدراسة سير الصحابة رضي الله عنهم، فهم الذين حملوا إلينا الدين وطبقوه خير تطبيق، وهم الذين اختارهم رب العالمين لصحبة نبيه، ولحمل الرسالة من بعده.

ثم انطلق بعد ذلك في دراسة التاريخ الإسلامي، مع الحرص على أخذه من مصادر غير مشوهة أو مزورة، ولن تفلح في ذلك إلا بالاستعانة بمن له قدم راسخة في دراسة التاريخ، لأن ما زُور منه أكثر بكثير مما حُفظ لنا سليمًا من التزوير!

وهكذا تجد أيها الشاب أنك تحتاج إلى أوقات هائلة، وأعمار مديدة لتحقق هذا الجانب في حياتك، ولذلك لا معنى مطلقًا لأن تضيع من عمرك بضع دقائق – فضلًا عن الساعات والأيام – أمام شاشات التليفزيون، أو في صالات البلياردو، أو في المشي في الطرقات والشوارع بلا هدف، أو في الجلوس على المقاهي والكافيتريات..

تستطيع في كل دقيقة أن تحصل علمًا مفيدًا، فاحرص على وقتك، وتقدم في طريق العلم بأقصى طاقاتك.. واعلم أن طريق العلم هذا هو طريق من طرق الجنة.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة».

النصيحة الثالثة
ارتبط بالمسجد

والمسجد جزء رئيسي جدًّا في تكوين الشاب المسلم.. وصلاة الجماعة ليست لمجرد تكثير الحسنات.. بل إن الله عز وجل كثَّر من حسنات صلاة الجماعة ليدفعك دفعًا إلى المسجد..

فالمسجد حماية للفرد والمجتمع، والذي يرتبط بالمسجد يحافظ على مستوى ثابت في الإيمان والتقوى.. لذلك يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [التوبة:18] فالمداوم على صلاة المسجد وعلى إعمار المسجد مؤمن بالله واليوم الآخر، ثم هو يعاون إخوانه على الإيمان.. فإذا فتر لحظة أو فتروا هم كان بعضهم عونًا للآخر.. وفوق ذلك فتركيز المسلم وخشوعه في صلاة المسجد يكون أعلى بكثير من البيت، ومن ثَمَّ فالأجر أعلى، والفائدة المتحققة من الصلاة أكبر.. وهكذا ففوائد صلاة المسجد لا يمكن حصرها..

فإذا أضفت إلى ذلك حضور مجالس العلم – إن وجدت – وحضور حلقات تحفيظ القرآن، وحضور الكلمات الخفيفة التي تقال بعد بعض الصلوات، فإن هذا يجعل لك تواجدًا ثابتًا، وارتباطًا عاطفيًا وقلبيًا بالمسجد.. وكل هذا يصب في النهاية في بنائك كفرد مسلم صالح.

ولذلك فإن الله عز وجل يكافئ الذي يحافظ على صلاة الجماعة بمكافآت كريمة عظيمة مع أنه يصلي في المسجد نفس الصلاة التي يصليها في البيت، وبنفس الكيفية ولكن في جماعة..

روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة».

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من غدا إلى المسجد أو راح أعدّ الله له في الجنة نُزُلًا كلما غدا أو راح».

النصيحة الرابعة
كن متفوقًا

يعتقد كثير من الشباب أنني إذا طلبت منه أن يكون ملتزمًا بالدين، مستمسكًا بالإسلام، فإن هذا معناه أن يعتكف في المسجد، ويداوم على قراءة القرآن والذكر والصلاة، ثم هو يهمل دروسه، ويجعلها في آخر أولوياته ظنًّا منه أن طريق الجنة هو طريق العلم الشرعي وكفى!!

وهذا – لاشك – وهم كبير، وخطأ ظاهر!..

التفوق في مجال الدراسة جزء لا يتجزأ من الإسلام..

والدول في العالم تنقسم إلى دول متقدمة ودول مختلفة (أو نامية!) بحكم ارتباطها بالعلم والاختراع.. وليس من المعقول أن الأمة التي يُفتتح دستورها بكلمة «اقرأ» هي أمة متخلفة علميًا..

كثيرًا ما يؤثر في نفسي سلبًا أن أرى شابًا ملتزمًا بالدين، قارئًا للقرآن، مصليًا في خشوع، داعيًا إلى الله، ثم هو فاشل في دراسته، بالكاد ينجح أو قد يرسب، وهو في ذيل القائمة، بينما يتصدر قائمة الطلاب علمانيون أو منحرفون أو نصارى!..

أهذا فقه للدين؟! أهذا فهم للإسلام؟!

الإسلام على عكس ذلك تمامًا..

الإسلام دين يدعو إلى التفوق في كل تخصص، والإتقان في كل عمل..

فإذا أردت – أخي الشاب وأختي الشابة – أن تقوموا بإصلاح حال الأمة ورفعة شأنها، فلابد من الاهتمام بالدراسة والتفوق اهتمامًا يفوق اهتمام الآخرين، وليعلم جميع الشباب أننا لا نريد مجرد أطباء أو مهندسين أو مدرسين أو كيميائيين.. إنما نريد الطبيب العالم، والمهندس المخترع، والمدرس النابغة، والكيميائي الفذ.. وهكذا.

واعلم يقينًا إنك إن حرصت على رفعة أمتك عن طريق تفوقك في دراستك فإن هذه حسنات لا تحصى في ميزانك..

ونسأل الله لشباب المسلمين دوام التفوق والامتياز..

النصيحة الخامسة
صِلْ رحمك

والحق أن الأسر المسلمة تعيش أزمة خطيرة في العقود الأخيرة من عمر الأمة، وهي أزمة تفكك الأسر الكبيرة إلى أسر صغيرة.. وتقطع أوصال كل أسرة إلى عشرات – بل ومئات – الأجزاء.

قد تمر الشهور والسنوات دون أن يسأل أخ عن إخوانه، أو يسأل عم عن أولاد أخيه، أو شاب عن خاله أو عمه أو أولاد خاله أو أولاد عمه وهكذا..

هذا التقطيع لأوصال الأمة ينذر بكوارث عدة..

المجتمع المهلهل الهش لا يصمد في الأزمات الخطيرة.. سواء الأزمات التي تعصف بالأمة ككل، أو الأزمات التي تعصف بالأفراد كل على حدة، وأول من يجب أن يقف إلى جوار أصحاب الأزمات هم الذين يرتبطون بهم ارتباطًا فطريًا برباط الدم والنسب.. فإن وصل الحال إلى أن هذا الرباط مقطوع، فلاشك أن غيره من أنواع الاتصال أيضًا مقطوع، فستجد الجار يقطع جاره، والصديق في العمل يقطع صديقه، والمسلم في بلد يقطع أخاه في البلد المجاور.. وهكذا..

لذلك يعظم ربنا سبحانه وتعالى جدًّا من صلة الرحم، ويربطها بصلته هو سبحانه..

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة؟ قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال، فذلك لك، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرءوا إن شئتم ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد:22-24].

وإذا كان الكبار قد ألفوا الفرقة، والقطيعة من الأرحام، فدور الشباب الصادق أن يبدأ دورة جديدة من الاتصال، فيحرص كل شاب على ربط أسرته وصلتها وإصلاح المشاكل التي بين الأفراد قدر المستطاع، فتتماسك الأسرة الكبيرة، وبالتالي يتماسك المجتمع بأسره..

وكلمة مهمة جدًّا في أذن الشباب..

مهما كبرت فإنه لا يجوز لك أن تكبر على أبويك!

بعض الشباب يرى نفسه قد كبر في الحجم، وتقدم في الدراسة، فيعتقد أنه أصبح ندًّا لأبيه وأمه!.. وما أدرك أنه من المستحيل أن يكون ندًّا لمن ولدته ومن رباه..

وليس المجال يسمح بذكر فوائد بر الوالدين، لكن يكفي هنا أن نذكر أن الله عز وجل ربط طاعة الوالدين بعبادته هو سبحانه وتعالى، ثم أمر بعدم مخالفتهما ولا إغضابهما ولو بكلمة واحدة حتى إن كانا كافرين، إلا أن يأمرا بالشرك بالله، فهنا لا تجب الطاعة، ولكن يجب مع ذلك البر بهما، والإحسان إليهما!.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[لقمان:**13-15**]

وقد ربط رسول الله ﷺ دخول الجنة برضا الوالدين في أكثر من حديث، منها على سبيل المثال ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف، قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة».

النصيحة السادسة
اختر أصحابك

مهما تقدمت في طريق الإيمان فإن صحبة السوء تعيدك إلى نقطة البداية أو أسفل منها.. ولا تقل إنني أحافظ على نفسي، ولا أصاب بعدواهم.. فإن أخلاق المرء ودينه وطبعه تكون كأخلاق ودين وطبع من يصاحب..

ذكر هذا المعنى رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي وأبوداود وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».

فإذا أردت طريقًا واضحًا للجنة فعليك بالصحبة الصالحة..

روى أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد بُحبوحة الجنة فليلزم الجماعة».

وإذا أردت انتصارًا على الشيطان، فلا يصلح أن تحاربه بمفردك!..

روى أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد».

أمر حتمي لمن أراد رفعة الأمة أن يندمج في صحبة صالحة.. صحبة تذكرك بالخير في كل لحظة.. إذا فاتك ميعاد صلاة ذكروك، وإذا سهوت عن وردك القرآني نبهوك، وإذا أردت معاونة على مذاكرة وتحصيل دروس ساعدوك، وإذا كنت في أزمة وقفوا معك.. نهجهم الإسلام، ودليلهم القرآن.. طابعهم الرحمة والرفق والحلم والأناة.. تفكيرهم عميق، وأسلوبهم رقيق.. يهتمون بأمر المسلمين ويقضون حوائج الناس، ويدعون إلى الله على بصيرة.. يبرون والديهم، ويصلون رحمهم، ويرحمون صغيرهم، ويوقرون كبيرهم، ويتقنون أعمالهم، ويتفوقون في دراستهم.

هؤلاء الذين ينجو المرء بصحبتهم، ويفلح برفقتهم..

أتحسبهم في عالم الخيال والأحلام؟!

كلا والله!

إنهم موجودون.. والخير في أمة الحبيب ﷺ إلى يوم القيامة.. ولكن الشاب الذي غرق في صحبة السوء طُمس على عينيه، فما عاد يرى إلا كل قبيح، ولو رفع غشاوة صحبة السوء لرأى أهل الصلاح والفلاح.. ولنجا ونجوا معه..

وأسأل الله عز وجل أن يربط على قلوب المسلمين ويوحد صفهم.

النصيحة السابعة

اعرف واقعك

بعض الشباب الذي التزم بدين الإسلام ينشغل بالعلوم الشرعية وبالعلوم الدراسية عن متابعة واقعه، فيعيش في جزيرة منعزلة في وسط بحر هائج متلاطم الأمواج.. ويستحيل – يا شباب الأمة – أن تغيروا من حال الأمة إلا إذا كنتم على دراية وافية بالواقع الذي تعيشون فيه.. ولا أقصد بالواقع هو حال المدرسة أو الجامعة التي تدرس فيها فقط، ولا حال الدولة التي تعيش بداخلها فقط.. بل أقصد حال الواقع الإسلامي بكامله، بل حال العالم بأسره..

لا يستقيم لإنسان يهدف إلى التغيير أن يهمل معرفة المتغيرات التي تمر بأمته، والظروف البيئية في المجتمعات المحيطة بها.. لقد كان رسول الله ﷺ يربط المسلمين بالأحداث الجارية في الأرض حتى في زمان الاستضعاف.. فكان يحدثهم عن كسرى وعن قيصر، وعن دولة فارس ومدائنها وطريقة حكمها، وعن دولة الرومان وقصورها ومنهج القياصرة هناك. ويحدثهم عن اليمن، ويحدثهم عن الحبشة، ويحدثهم عن مصر، ويحدثهم عن البحرين.

وهكذا.. ينظر المسلم نظرة شمولية للأرض من حوله فيعرف موقعه وموقع الآخرين، ويعرف متطلبات المرحلة التي يعيش فيها..

وعلى هذا فإنه يجب على الشاب الواعي الفاهم الناضج أن يتابع أخبار الدنيا من حوله بصفة دورية ومنتظمة، فيقرأ الجرائد المتنوعة، ويطلع على أمور السياسة والاقتصاد والاجتماع، والمتغيرات الأساسية في الزمن الذي يعيش فيه، ويتابع قنوات الأخبار العالمية، ويعرف الرأي والرأي الآخر، ويناقش ويحلل ويسأل ويستنتج.. وبهذا يصبح الشاب ملمًا بواقع حياته، كما أصبح ملمًا بواقع دينه..

وهذه الشخصية المتكاملة هي الشخصية التي تبنى على أكتافها الأمم..

النصيحة الثامنة
كن رياضيًّا

من أهم صفات الشاب قوة الجسد، وسلامة الصحة، ومتانة البنيان، والأمة تحتاج إلى الجسد السليم كما تحتاج إلى العقل السليم تمامًا بتمام..

والجهاد لا يكون إلا بجسد قوي، وضربة معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما لا تأتي إلا من ذراع رياضية..

ولكن عليك أخي الشاب بالرياضة المفيدة، وهي الرياضة التي تعود عليك وعلى أمتك بالنفع والتقدم.. وذلك مثل السباحة والرماية وألعاب الدفاع عن النفس بأنواعها وألعاب القوى ورفع الأثقال والفروسية وغير ذلك من الألعاب المفيدة للجسم وللعقل وللمجتمع..

ويا ليت الشباب يتخصصون في رياضة معينة لكي يظهر فيها الإبداع.. وما أجمل أن تصل إلى مستوى متفوق في رياضتك بدلًا من إنفاق كل شهر في لعبة مختلفة..

ثم عليك بتقليل الكم الذي تقرأ عن الرياضة، وكذلك تقليل كم المباريات التي تشاهدها.. فنحن للأسف نحترف القراءة والمشاهدة للرياضة ولكن لا نمارس!.. وهذا قصور شديد.. فبينما تكون الرياضة مفيدة جدًّا في ممارستها، تصبح غير مفيدة – بل مضرة جدًّا – إذا أنفقت فيها وقتًا طويلًا لمتابعة التحليل الكروي لخطة فريق كذا أو كذا، أو لمتابعة أسعار اللاعبين والمفاوضات حول فلان أو علان، أو نتائج الدوري في إسبانيا أو إيطاليا أو غير ذلك من الأمور التافهة التي لا ينبني عليها كثير عمل، ولا حتى قليل عمل!

وتذكر أن الرياضة وسيلة وليست غاية، ولذلك لا تنفق فيها وقتًا كبيرًا جدًّا، فإن يومك فيه الكثير من الأعمال الأخرى الهامة، والتي تحتاج منك إلى وقت وفكر ومجهود.

النصيحة التاسعة
ادْعُ غيرك

إذا أحسست بحلاوة هذا الدين، ومتعة الالتزام به، ولذة الطاعة لرب العالمين، وإذا شعرت بعظم المسئولية الملقاة على عاتق الشباب لإصلاح حال الأمة الإسلامية، بل لهداية الأرض بكاملها، وإذا شعرت بمدى المأساة التي مازال يعيشها آخرون ببعدهم عن دين الله، وبهجرهم لكتاب الله..

إذا شعرت بكل ذلك فلا تنس أصحابك الذين كانوا معك قبل أن تشرف بسلوك هذا الطريق، فادعهم إلى ما أنت عليه.. وراجع معارفك وأحبابك..

إن لك أصحابًا في المدرسة أو الجامعة أو العمل، وأصحابًا في السكن، وأصحابًا في النادي، وأصحابًا في الشارع، وأصحابًا على الإنترنت، وأصحابًا سافروا، وأصحابًا مكثوا في بلدك، وأصحابًا تخرجوا من كليتك وذهب كل منهم إلى مكان..

راجع كل هؤلاء وابدأ في دعوتهم إلى الخير الذي أنت عليه..

قل كلمة طيبة.. اهدهم شريطًا إسلاميًّا أو كتيبًا، أرسل إليهم بريدًا إلكترونيًّا.. تحدث معهم تليفونيًّا.. اصحبهم إلى دروس علم.. دلهم على برنامج ديني طيب.. اشترك لهم في دورية صحيفة إسلامية..

افعل شيئًا.. أي شيء.. فهذا حق الأخوة وحق الصداقة وحق الإسلام.

ادعهم إلى الحياة الجادة التي عرفتها..

وتخيل أنك تحصل من الأجر على كل عمل خير يعملونه مثلما يحصلون هم تمامًا!.. لأنك أنت الذي أرشدتهم لهذا الخير..

روى أحمد عن بُريدة بن الحصيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الدال على الخير كفاعله».

ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:33].

النصيحة العاشرة

نظم وقتك

واعلم أنها نصيحة – وإن كان في ظاهرها بسيطة – لكنها صعبة، وكثير من الشباب يعاني من هذه المشكلة تمامًا.. ويشعر أن اليوم لا يكفي لشيء.. بينما الله عز وجل قد أعطاك وقتًا يكفي لكل ما طلب منك بشرط أن يُنظم..

لابد أن تضع خطة محكمة لتنفيذ كل هذا الخير الذي تحدثنا عنه وغيره إن شاء الله، فللمسجد وقت، وللمذاكرة وقت، وللقراءة في الدين وقت، وللقراءة الحرة وقت، ولصلة الرحم وقت، وللترفيه الحلال وقت.. وهكذا..

ولابد أن تعرف ماذا تريد أن تفعل في كل يوم، وماذا تريد أن تفعل غدًا، وماذا تريد أن تفعل في الأيام والشهور والسنوات القادمة..

حدد الهدف، ورتب الأولويات، وضع برنامجًا زمنيًا، وابدأ في التنفيذ دون تسويف..

واجعل هناك أوقاتًا للتقييم والمتابعة، وعدل في جدولك ونظامك حسب الحاجة.

واستشر من سبقوك في طريق الحياة الجادة من متخصصين في الدعوة وفي العمل وفي مجال التخصص العملي وغير ذلك.. وابدأ من حيث انتهى الآخرون، ولا تستحي أن تسأل، فإن شفاء العي السؤال.

ولا تحبطن إذا فشل جدول أعمالك، ونظام وقتك.. فلابد لكل إنسان أن ينجح مرة ويفشل مرة، ولكن استفد من أخطائك، وابدأ من جديد، والله معكم، ولن يتركم أعمالكم..

وتذكر أن رأس مالك الحقيقي في هذه الحياة هو عمرك، ويوشك إذا ذهب بعض عمرك أن يذهب الكل، فكن على حذر، فالذي يذهب لا يعود إلى يوم القيامة.

واستعن بالله ولا تعجز.. وتذكر أنك طرقت باب الرحمن ليساعدك فلن يخذلك أبدًا، بل سيفتح لك أبواب الخير والرحمة، ويدلك على سبل السلام، ويهديك إلى الرشاد والفلاح..

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت:69].

وهذا ما أنعم الحق تعالى به ونعم الخالق سبحانه لا تحصى.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

خادم القرآن:

د بن عبدالله

مدرس علوم القرآن بالأزهر

الفهرس

مقدمة: الشباب في الإسلام 5
الباب الأول:
المخاطر التي تواجه الشباب المسلم وكيف نتوقاها..... 27
أولًا المخاطر الداخلية..... 43
ثانيًا المخاطر الخارجية..... 54
كيف يعمل الداعية على إزالة آثار الغزو الثقافي
والاستعمار الفكري 57
الباب الثاني:
الإسلام والمذاهب الفكرية..... 63
ما هي الفلسفة 70
نبذة عن الفكر الديني عند فلاسفة الإغريق..... 85
العقيدة الدينية والفكر الفلسفي..... 88
العقيدة في الإسلام 94
النظرة الإسلامية لحل أزمة الفكر الإنساني..... 104
ملامح اتجاهات الفكر المعاصر 116
موقف الإسلام من حضارة الغرب المعاصرة..... 120
الفلسفة الماركسية وموقف الإسلام منها 124
الوجودية وموقف الإسلام منها 133
نصائح عملية للشباب..... 141